

# المقاومة

من

وجهة

نظر

قومية

الدكتور عصمت سيف الدولة

كان الحديث عن « المقاومة من وجهة نظر قومية » موجها الى جمع من الشباب العربي التقوا على موعد محدود في نادي « الوافدين » بالقاهرة مساء يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٩ . وبدأ الحوار بعد الحديث حتى انقضت حدود الموعد . تم لم تنقطع ساعات طويلة على مدى ايام عدة ، وشارك فيه شباب جاد في البحث عن اجابات لاسئلة محددة . وآخرون يثيرون الاسئلة لاختبار اجاباتهم المعدة . وغير هؤلاء وهؤلاء في مواقع عدة بصيغ متعددة . ولقد اثارت الاسئلة التي طرحت تساؤلات لم يطرحها احد . وثبت من كسل هذا ان « المقاومة » اكبر انرا ، واعمق محتوى ، من ان يكفي حديث قصير للاجابة عن كل ما تفجره من قضايا في اذهان الشباب العربي . فقد ذهبت الاسئلة والتساؤلات التي تثيرها « المقاومة » الى حد تناول كل القضايا الفكرية والحركية التي تتصل بالوجود القومي ومستقبل الحياة فيه ، او اغلبها ، ولما ينقطع الحوار بعد عندئذ اصبح من حق المقاتلين في المقاومة ، وقياداتهم ، والشباب العربي في كل مكان ، ان يشاركوا في الحوار الذي بدأ حديثا . فهاكم الحديث كما كان ، وهاكم الحوار ، بعد انتقاء اسئلته واجاباته بمقياس الموضوعية ، والصلة بالحديث ، وعدم التشهير بأي من القوى او المنظمات التي تقف في مواجهة العدو المشترك . وصياغتها مرتبة على وجه يتفق مع تسلسل نقاط الحديث ذاته . دعوة الى مزيد من الحوار البناء حول اسلوب الوفاء بمسؤولياتنا القومية .

ع . س .

## ١ - الحديث

مدخل :

بحدود المعركة فلا نقول اذ نقول الا ما يدعم مقدرتنا « المقاومة » على النصر . والحديث عن المقاومة ، حتى فيما يدعم مقدرتها ، ليس سهلا في كل وقت . ذلك لان نبات « المقاومة » في المعركة ونصاعده مقدرتها بعد هذا ، والبطولات الرائعة التي يقوم بها مقاتلو « المقاومة » قد اضفى على « المقاومة » هالة من القدسية لا تقبل من الحديث الا ما يشبه الصلاة والتمجيد . ومع هذا فقد تعلمنا من تاريخنا القريب ،

ان الحديث عن « المقاومة » حديث شائك لاسباب عدة . اولها اننا اذ نتحدث عن « المقاومة » لسنا على الحياد من معركتها البطولية ضد الغزو الصهيوني ، بل نحن مع « المقاومة » . ان هذا يعني اننا ملتزمون

ومن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ذاتها ان الصمت ، حتى لا نمس مشاعر بعض الجماهير فيما تأمل فيه وتقدسه ، فد أسهم فسي الهزيمة . فتراكمت السلبيات خفية حتى انهارت القوى التي ما كان يظن احد انها قابلة للانهيار . لهذا فقد اخترنا الحديث الشائك عن « المقاومة » . السبب الثاني ، اننا اذ نتحدث عن « المقاومة » نتحدث عن ابطال يواجهون الموت كل يوم ، او يموتون . ونحن نتحدث عنهم من مقابنا الريحة في القاهرة على وجه يبدو كما لو كنا ننتمي الى عالمين مختلفين منزلين . هناك من يرون - ويردون - ان وراء هذه الغزلة ناريخا من صنع المثقفين العرب انفسهم ، اذ انهم اهدروا سنين طويلة في احاديث لم تنقطع الا عندما اكتشفوا انهم بينما كانوا مشغولين بتتبع الكلمات وحرصها جملا وسطورا والقائنها جدلا صاحبيا ، كان العدو يعد في صمت فوته المقاتلة التي اوقعت بولهم الهزيمة فكشفت عن عمق الحوار الذي اضعوا فيه اعمارهم وان فلسفة « السلاح » هي الصحيحة ، اما سلاح « الفلسفة » فهو عيب لا يطاق . ولا شك ان وراء هذا الاتهام قدرا محدودا من الحقيقة وان كان غير كاف لتغطية نوايا الممارين . ومع هذا فقد تعلمنا من تاريخنا القريب ، ومن تاريخ الثورات في العالم ، انه اذا كان الفكر المجرد من السلاح عيبا فارغا ، فان السلاح المجرد من الفكر مقامرة جاهلة . وتعلمنا من قائد ثورة أكتوبر ، لينين العظيم ، انه « لا ثورة بدون نظرية » . من أجل هذا اخترنا الحديث الشائك عن « المقاومة » من وجهة نظر « قومية » يقينا منا باننا ما نزال نفتقد من الفكر المحرك اكثر مما نفتقد من السلاح الفعال .

وحديثنا ، بعد ، ليس استعراضا فكريا بدون غاية . ان غايته ان يسهم في تحقيق قدر من الوحدة الفكرية بين الشباب العربي كمقدمة لازمة لوحدة ثورية يحقق بها هؤلاء الشباب النصر على اعداء المصير التقدمي الذي يتطلعون اليه . وليس اكثر تعويفا للوحدة الفكرية ، وبالتالي تكريسا للفرقة الثورية ، من عدم تحديد مضامين الالفاظ التي نستعملها في الحديث او الحوار . عندما نتكلم لغة واحدة ، بينما يعني بها كل واحد منا معنى مختلفا ، فنختلف . لهذا ستكون بداية حديثنا تحديدا لما نعنيه « بالمقاومة » ثم ما نعنيه بالنظرية « القومية » لعل هذا التحديد ان يساعد على الا يفهم احدا ما يقال على اساس من افكاره الخاصة . فاذا انتهينا من هذا التحديد الذي سيستغرق اكثر حديثنا سيكون سهلا علينا ان ندرك بدون حاجة الى حديث طويل - النظرية القومية « للمقاومة » .

مع التسليم مقدما بان كل هذا اجتهاد قد تختلف فيه الآراء .

## ماذا تعني « المقاومة » ؟

عندما نتحدث عن « المقاومة » نعني اسلوب القتال المسلح الجماهيري لتحرير الارض العربية من الغزو الصهيوني . فالمقاومة بعيننا - في نطاق هذا الحديث - من حيث هي « اسلوب » للنضال ، اسلوب قتال « مسلح » متميز عن النضال الدبلوماسي او الدعائي او الفكري . وهي « اسلوب » قتال مسلح « جماهيري » متميز عن الاسلوب الدولي واسلوب الحرب النظامية . ان هذا لا يعني ان المقاومة مجرد عصابات مسلحة مقطوعة الصلة بالصراع الدبلوماسي ، او الدعائي ، او الفكري ، وبالذات وبسياساتها وجيوشها . ابدا . انما يعني ان المقاومة اذ تلجأ الى واحد او اكثر من تلك الاساليب ، انما تفعل هذا بدعم ومساندة لاسلوبها المتميز : القتال الجماهيري المسلح .

ونحن نعلم ان « المقاومة » ضد الغزو الصهيوني ليست مجرد « مقاومة » دفاعية بل تتضمن نوايا هجومية تذهب الى حشد تحرير فلسطين ، ومع ذلك نسميها « مقاومة » . ونعلم ان « المقاومة » مجسدة في عديد من المنظمات المتميزة من حيث منطلقاتها الفكرية ، او تركيبها البشري ، او غاياتها الاستراتيجية ، او مقدراتها القتالية ، او حتى بقادتها دون مميزات موضوعي آخر . وكلها عندنا - في نطاق هذا الحديث - مقاومة . كما نعلم ان تلك المنظمات « الجماهيرية » المتعددة ليست على قدر موحد من الاستقلال او التبعية بالنسبة للسياسة بعض

الدول العربية . ومع ذلك نعنيها جميعا عندما نتحدث عن المقاومة . ذلك لان ما يهمننا من « المقاومة » في هذا الحديث هو تلك السمة المشتركة بين كل المنظمات وهي : اسلوب القتال الجماهيري المسلح .

## ماذا تعني « القومية » :

ان كان هذا واضحا وبسيطا فلمله مما يشير الدهشة ان يكون مفهوم « القومية » اقل وضوحا واكثر تعقيدا . يرجع هذا فيما نعتقد الى عوامل متعددة ومتفاعلة اهمها :

اولا - ان موجة المد القومي التي بدأت في سنة ١٩٥٥ قد جذبت اليها بعضا من المثقفين الذين فهموا القومية على انها انتماء سلبي يحقق لهم نصيبا في عائد انتصاراتها بدون ان ينتهوا الى حدتها الايجابي من حيث هي التزام بالنضال من اجل تحقيق مضامين حية . لهذا كثر الحديث عن القومية حديثا فارغا كغفرا ففراء الريف بانحدرهم من عائلات عريقة ، متقرضة . وتلقف اعداء القومية تلك الاحاديث فاضافوها - بسوء نية - الى حساب الفكر القومي .

ثانيا - ان الحركات القومية المعاصرة للصفود الرأسمالي في اوربا قد اسفطت على القومية كل مثالب الرأسمالية ، وادبت القومية بما جنت ايدي الرأسماليين اداة تحتاج مراجعتها الى جهد علمي لا يقدر عليه الكثيرون او لا يرغبون فيه . فاصبح رفض القومية ملجأ مريحا للعاجزين عن فهم حركة التاريخ وما يجري تحت انوفهم في القرن العشرين .

ومنها واخطرها - ثالثا - ان الحركة القومية العربية قد صاحبت محاولات التحرر من الاستعمار التركي والاوروبي ، وبهذا سبقت التحول الاشتراكي الذي بدأ بعد التحرر . فلما طرحت قضايا التحول الاشتراكي حاولت الرجعية العربية ان تقلب موقفها الرجعي بما تبقى لديها من تراث النضال القومي ، فافترت القومية من مضمونها التقدمي وانقلبت القومية على ايديها الى مجرد رابطة عرقية متعصبة ورجعية . وغير هذا اسباب كثيرة .

وهكذا اصبح الحديث عن القومية مباحا لعديد من التيارات المتناقضة ، كل منها يدعيها ، وكل منها له في الاحداث « وجهة نظر قومية » .

من اجل هذا ، لا بد لنا من ان نصبر على طول الحديث عن « القومية » ليكون مفهومها الذي نعنيه ، وثلثه ، ونرى « المقاومة » على ضوءه ، محدد الى اقصى درجة من التحديد ممكنة .

## الوجود القومي :

الذي لا شك فيه ان الوجود القومي ( الامة ) ، كأي معطى موضوعي ، قابل للمعرفة وان كان غير متوقف وجودا وعرضا على تلك المعرفة . بمعنى اننا اذا عرفناه فذلك اكتشاف حقيقة موضوعية . واذا لم نعرفه فالحقيقة قائمة وان كنا لا نعرفها . وقد وصل الكثيرون الى اكتشاف الحقيقة القومية عن طريق البحث العلمي باستعمال مناهج مختلفة . واصبح مسلما بان ثمة وجودا اجتماعيا ذا خصائص متميزة يسمى « الامة » . ولكننا اليوم نريد ان نحاول اكتشاف تلك الحقيقة من منطلق جديد : المنطلق الاشتراكي . نريد ان نبدا كاشتراكيين لنرى معا ما اذا كان ذلك سيصل بنا الى ان نكون قوميين .

لماذا ؟

ان ازمة المستقبل العربي كما نراها من الآن هي ان القسوى الاشتراكية منقسمة الى قوميين ولا قوميين . لان وحدة القوى الاشتراكية في الوطن العربي كما نطلبها ضرورة قومية . لان المقاومة كما نعرفها لن تنتصر نهائيا الا ان اصبحت مقاومة قومية اشتراكية . ولن يفنيها عن هذا مليون فوهة بندقية .

فلنبدأ من البداية .

والبداية هي البحث عن اجابة عن ذلك السؤال الحيوي الذي لا بد ان قد طرحه كل منا على نفسه وهو : كيف احقق لنفسني حياة

افضل ماديا ومعنويا؟... منفردا؟... هذا غير ممكن فلكل منا اسرة ينتمي اليها ولا يستطيع ان يحقق لنفسه حياة افضل بمعزل عنها . فلنكن غايته اذن ، ان يحقق الحياة الافضل لنفسه واسرته معا ؟... منفردين؟... هذا غير ممكن ، فاسرة كل منا جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي ينتمي اليه تؤثر فيه وتتأثر به سواء ارادت هذا ام لم ترد . اذن فالحياة الافضل ، بدون اختلاس ، لا يمكن ان تتحقق لاي منا واسرته الا في داخل مجتمع تسمح امكانياته وعلاقاته بالحياة الافضل التي نريدها لانفسنا .

من هنا يصبح دور كل منا ، وهو يسمى السى حياة افضل له ولسرته ، ان يعمل ايجابيا لتطوير (( المجتمع الذي ينتمي اليه )) السى حيث تتحقق امكانيات وعلاقات الحياة الافضل . هذا الدور الايجابي يتضمن امرين اساسيين . الاول : ان لكل عامل ايجابيا الحق في ان يتطور المجتمع الذي ينتمي اليه ما دام هذا شرطا لازما موضوعيا لتطوير حياته الخاصة . ان هذا الحق ينصب على كل من الامكانيات والعلاقات: حق استرداد الامكانيات من مقتصبيها والمستأثرين بها ، وحق تنظيم العلاقات الاجتماعية بحيث يحصل كل واحد من عائد التقدم الاجتماعي على نصيب خاص متكافئ مع ما قدمه من عمل ايجابي ، مساهمة في ذلك التقدم . الامر الثاني : التزام كل عامل ايجابيا في مواجهة المجتمع الذي ينتمي اليه بان يسهم في تطوير المجتمع الى حيث يتحقق له ، ولغيره ، الامكانيات والعلاقات التي تسمح بحياة افضل . هذا الالتزام ليس التزاما منفردا ، بل التزام في مواجهة المجتمع . والمجتمع جماهير حية مريدة وفادرة على استيفاء حقوقها . وهذا يعني الا يقوم الالتزام بالنضال من اجل التقدم الا خلال علاقة جماعية منظمة تضع كل مناضل في مواجهة ، وتحت رقابة ، جماهير محددة هي جماهير (( المجتمع الذي ينتمي اليه )) .

الى هنا لا يتور خلاف بين الاشتراكيين .

فحق كل عامل في امكانيات المجتمع الذي ينتمي اليه ، او رفض الاغتصاب والاستئثار ، هو ترجمة للملكية الاجتماعية لمصادر الانتاج وادواته . وحق كل عامل في ان يحصل من عائد التقدم الاجتماعي على نصيب متكافئ مع ما قدمه من عمل ، هو ترجمة لشعار (( لكل حسب عمله )) . والالتزام كل عامل ايجابيا في مواجهة المجتمع الذي ينتمي اليه هو ترجمة (( للديموقراطية الشعبية )) . والعمل الجماعي المنظم هو الصيغة التي تجسد تلك الديموقراطية .

عند هذا الحد كلنا اشتراكيون ، مناضلون في سبيل تقدم المجتمع الذي ننتمي اليه )) .

ثم يرد السؤال المهم :

ما هو ذلك ((المجتمع الذي ننتمي اليه )) ، ويرتبط مصيرنا بمصيره، والذي لنا حق في كل امكانياته ، وحق في صياغة علاقته وعلينا التزام امام جماهيره بان نظوره ونحقق فيه الحياة الاشتراكية الافضل ؟.

ان طرح هذا السؤال ليس تفلسفا ولا نفسا . بل ان الاجابة عليه شرط جوهرى لنجاح اي نضال اشتراكي . اذ على ضوئه نعرف نقطة انطلاقنا ، وامكانياتنا المادية والبشرية ، وقوانا ، والقوى الحليفة لنا ، والقوى المضادة لقاتنا ، وحلفاءها وساحبة معاركنا المقبلة . وعلى اساسه نضع استراتيجيتنا ، وفي واقعه ندير معاركنا التكتيكية . ثم نقدم الحساب لجماهيره المحددة التي التزمنا امامها بان نحقق لها المستقبل الاشتراكي .

هذا اذا كنا جادين فيما ندميه من تقدمية ، وما نلنله من استعداد للنضال من اجل حياة افضل .

ونحن جادون .

فما هو المجتمع الذي ننتمي اليه ؟

اسهل الاجابات واقرؤها الى الذهن هي ان المجتمع الذي ننتمي اليه يتحدد (( بالدولة )) التي نكن رعاياها . فلكل (( دولة )) وطن ، وشعب ،

وفيها حكومة ، ولها امكانيات ، وعلاقات ، ومقدرة على التقدم . ذلك هو الامر الواقع . وليس من المنكر ان الامر الواقع هو بداية الطريق النضالي ايا كانت غاية هذا الطريق . وان تجاهل الامر الواقع او التفرد من فوفه الى غيره مثالية تبدد الطاقات ولا تغير من الامر الواقع شيئا . ولكن اذا كانت الدولة امرا واقعا فان التخلف امر واقع ، والاستغلال امر واقع ، والاحتلال امر واقع ، واسرائيل امر واقع ، والهزيمة امر واقع ، فلماذا لا نقبل كل هذه الامور الواقعة ؟ لان الاشتراكيين تقدميون فهم يعرفون ان كل ما يبدو امرا واقعا هو في حركة وتغير دائمين . وان ثمة في كل يوم جديدا تحت الشمس . وان مهمتهم على وجه التحديد هي تغيير الامر الواقع الى الامرا الافضل . اذن ، فكون الدولة امرا واقعا يحسد لنا مجتمعنا معنا ليس بالضرورة انها افضل تحديد للمجتمع الذي ننتمي اليه . ويكون علينا ان نبحث عن الحقيقة الموضوعية لهذا المجتمع لترى بعد هذا ما اذا كانت الدولة تتفق مع تلك الحقيقة او لا تتفق . وعندما لا تكون الدولة متفقة مع تلك الحقيقة الموضوعية يجب ان تزول الدولة المصطنعة لتقوم بدلا منها الدولة التي تتفق مع حقيقة المجتمع الذي ننتمي اليه .

كيف يمكن ان نكتشف تلك الحقيقة اللازمة لتحديد مدى التزامنا النضالي من اجل الاشتراكية ؟

يقول القوميون ان الوجود القومي ( الامة ) مسلمة علمية وذات خصائص يسهل معها تحديد نطاق الانتماء ، ويقدمون في التديليل على هذا عددا من النظريات ، التي اسهم بعض الاشتراكيين في وضعها عن خصائص الامة : وحدة اللغة وحدة الارض ، وحدة المصالح وحدة الشعور النفسي ، وحدة الارادة . الى اخر النظريات التي قيلت في خصائص الامة . وينتهي القوميون من هذا الحوار الى ان الامة هي (( المجتمعات )) التي ينتمي اليها الناس ، وان لكل انسان امة ، متكونة ، او في طور التكوين ينتمي اليها . وان التزامه النضالي يمتد الى ان يشمل كل امته ووطنها وبشرها ، وان حقه في حياة افضل يمتد ليشمل كل امكانيات امته وعلاقاتها . ثم يضيف العرب القوميون : ونحن ابنا امة عربية واحدة ، فهي مجتمعنا الذي ننتمي اليه ، وامكانياتها حقا ، والتزامنا قائم امام جماهيرها كافة برغم التجزئة الطارئة عليها .

والى عهد قريب جدا كانت كل الدراسات القومية في الوطن العربي تدور حول هذه الفكرة وتقف عندها .

ولم يكن هذا كافيا .

لم يكن كافيا لاذابة الجمود الفكري لدى بعض الاشتراكيين . ولم يكن كافيا لافئاع بعض آخر من الاشتراكيين بمضاعفة التزامانهم النضالية والتصدي لسحق الدول الاقليمية وتغيير الحياة في الوطن العربي كله بدلا من المهمة السهلة نسبيا وهي تغيير الحياة في جزء منه . وقد استفز هذا الرفض كثيرا من الاشتراكيين العرب فاحتدمت المعركة بين صفوف الاشتراكيين . وطبيعي ان الرجعية كانت المستفيدة الاولى من هذا الخلاف . والواقع ان ما وصل اليه الفكر القومي من بيان لخصائص الامة لم يكن كافيا ، ولا يمكن ان يكون كافيا لافئاع اي مناضل من اجل الاشتراكية بان يمد التزامه النضالي الى خارج حدود دولته ، بما يتضمنه هذا من اعباء ثورية مضاعفة ، مجرد ان يقال له ان اولئك القهورين خارج الحدود اخوتك ابناء امتك لانك تتكلم لغتهم ، وتعيش معهم على رقعة جغرافية واحدة ، ولك معهم مصالح مشتركة . الخ . ومن باب اولي لم يكن كافيا ، ولا يمكن ان يكون كافيا ، لاي اشتراكي ان يستجيب لدعوة عصبية قومية غير ذات مضمون تقدمي فيهدر جهده من اجل معان مجردة غير قابلة لان تتحول الى حياة افضل خاصة اذا جاءت الدعوة من صفوف القوى الرجعية . ذلك لان الغاية النهائية للنضال الاشتراكي هو ان يحقق حياة افضل .

يعرفون من منهجهم الجدلي ان التطور تقدم صاعد ابدا ، وانه لا يكرر نفسه ، بل ينمو من خلال الاضافة نموًا جدليا .  
اذان لماذا تكونت الامم ؟

يقول الاشتراكيون العرب ان المجتمعات البشرية قد تطورت من حيث النمو من الاسرة الى العشيرة الى القبيلة الى الشعب المستقر على الارض الى الامة خلال البحث عن حياة افضل . تلك الغاية التي لا تزال تحرك الانسان في اي مكان مهما اختلف مضمون الحياة الافضل . فالطور العشائري كان تحقيقا لحياة افضل عجزت الاسر منفردة عن تحقيقها . والطور القبلي كان تحقيقا لحياة افضل عجزت العشائر منفردة عن تحقيقها . والطور القومي كان تحقيقا لحياة افضل عجزت القبيلة والشعبية منفردة عن تحقيقها . وقد تم كل هذا خلال احداث ومراحل تاريخية مليئة بالصراع والهجرات والحروب بين القوى داخل المجتمعات ومع المجتمعات الاخرى المتماثلة بحثا عن الحياة الافضل ، استنفد فيها كل طور متخلف اقصى طاقته ، على التقدم ، فلما ان عجز عن مزيد من التقدم ، وكان لا بد له بحكم قوانين التاريخ ان يتقدم انتقل الى طور اكثر تقدما . اكثر تقدما من حيث انه يقدم له امكانيات التقدم لم تكن متاحة له في طوره السابق .

وهكذا ، اذا كنا نحن الان في الطور القومي ، واذا كنا ننتمي الى امة عربية تكونت تاريخيا ، فان هذا يعني ان تاريخنا قد استنفد كل مقدرة العشائر والقبائل والاقاليم العربية على التقدم قبل ان تتكون امتنا ، وانها عندما تكونت كانت دليلا تاريخيا لا ينقض على عجز المجتمعات الاولى التي تكونت منها على التقدم الاجتماعي منفردة . وانها هي الرابطة التقدمية التي تتيح لكل جماهير المجتمعات الاولى امكانيات التقدم الذي لم تكن متوافرة لها .

هل هي اخر طور ؟

هكذا يتساءل « الاميون » فنقول لا . فقياسا على حركة التاريخ الجدلية الصاعدة لا يمكن ان يكون الطور القومي اخر مراحل النمو الاجتماعي . بل نعتقد انه عندما يتم التكوين القومي لكل الامم التي لا تزال في طور التكوين ، ثم تستنفد كل الامم اقصى طاقاتها على التقدم سيتم تكوين او تكوينات اجتماعية جديدة اكثر مقدرة على التقدم . كل ما في الامر اننا لا نعرف من الان كيف يكون التكوين الجديد كما لم تكن تعرف القبائل ان مصيرها الى الوحدة القومية . فقد يكون التكوين الجديد جغرافيا ، وقد يكون قاريا ، وقد يكون انسانيًا عالميا . ثم اننا لا نعرف متى سيتم هذا على اي من تلك المستويات . ولكننا نستطيع ان نقول انه قياسا على ما استنفدته المجتمعات القبلية لتصبح امما ومع ادراك لزيادة معدل سرعة التطور الحضاري فسان بين البشرية وبين تجاوز الطور القومي بضعه الاف من السنين تخرج ذلك الطور الاجتماعي المقبل عن الموضوع الذي يشغلنا وهو - حتى نتذكر - تحديد المجتمع الذي نلتزم في مواجهة جماهيره بالنضال الاشتراكي وتتحمل امامها مسؤولية تطويره وتحقيق الحياة الاشتراكية الافضل فيه .

الامة العربية هي اذن مجتمعنا الذي ننتمي اليه ، والقومية هي الرابطة التقدمية التي تجمعنا لا مبرر للجمونه ولا للخوف ، فان النصر معقود لاية حركة تتناسب مع المعطيات الموضوعية لساحة نضالها . والقومية هي الضمان للنصر الاشتراكي . وان كان ثمة من يرضيه ان يضيفوا الى التزامهم القومي التزاما اميبيا نحو الوحدة المأمولة للمجتمع الانساني ، فلا تريب عليهم ، ولكن نقول لهم دعونا اولنا نوقف بمسئولياتنا القومية نحو الجماهير التي نعرفها ويرتبط مصيرنا بمصيرها الى الاف السنين ، وان عشتم بعد هذا فافعلوا ما تريدون . وحتى قبل ذلك الجين فان قبولكم حقيقة الوجود القومي هو قبول للوجود القومي لامم اخرى ، والتزام

ولم يكن ثمة امل في وحدة القوى العربية التقدمية الا باكتشاف العلاقة بين القومية والتقدمية . ومع ان الثبات النسبي للرابطة القومية ، وانعكاساتها على البناء الاشتراكي في المجتمعات التي سبقت الى بناء الاشتراكية ، وصمودها كاطار للتقدم في تلك المجتمعات بالرغم من ادانتها كان يشير الى ان هناك علاقة موضوعية بين القومية والاشتراكية فان القومية كانت قابلة للاضعاف كرابطة والذبول كفكرة والفشل كحركة ، في عصر الصعود الاشتراكي ، ما لم يثبت انها بذاتها رابطة تقدمية او على الاقل انها ليست عائقا في سبيل الاشتراكية .

وقد قدم الاشتراكيون العرب ، تحت الحاح رغبتهم في وحدة القوى العربية التقدمية ، ووفاء منهم بمسئولياتهم القومية امام الجماهير العربية ، عديدا من الدراسات التي استهدفت الكشف عن علاقة القومية والاشتراكية ، من جميع الزوايا الفكرية او التطبيقية التي تهم الاشتراكيين في حوار مفتوح مع القوى التقدمية . وكان ذلك هو الجانب الجاد من الحوار الذي استنفد سنين غالية من حياتنا على امل لقاء كل التقدميين في وحدة ثورية . حتى فوجئنا بالمدو الصهيوني الامبريالي المشترك يعصف باحلام الطامعين في بناء الحياة الاشتراكية الافضل في جزء منفرد من الوطن العربي وتبينوا في اسوأ الظروف تلك الوحدة الموضوعية والتفاعل المتبادل بين كل المشكلات التي يطرحها واقع الامة العربية ، وتذكروا تلك الكلمة التي قيلت لهم فصفقوا لها ثم نسوها او تناسوها او اخفوها « ان التقدم العربي لا يمكن ان يقوم على اساس التجزئة » .

ونحن نفترض ان الدرس القاسي قد اثمر فنعيد الحوار بدون استغلال لمرارة الهزيمة ونعود بهم الى حيث توقفنا : العلاقة بين القومية والتقدمية . هل القومية رابطة تقدمية ؟ هل تقف عقبة في سبيل الاشتراكية ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة ستكون اخر الحوار . والرفض المتعنت لها يضع ادعاء الاشتراكية في الوطن العربي موضع اتهام جاد وصريح يتناول ولاءهم للجماهير واشتراكيتهم ذاتها ، فان الوقت العصيب الذي تمر به امتنا لم يعد يسمح بمزيد من تدليل المتطرفين على امتهم ولو رفعوا شعارات الاشتراكية .

## لماذا تكونت الامم :

قلنا من قبل ، ونقول الان ، لكل الاشتراكيين الذين ينتكرون لالتزاماتهم القومية ، ويقصرون ولاءهم على جماهير اقاليمهم بحجة ان القومية غير ذات علاقة بالتقدمية ، او بان الحركة القومية رجعية :

ايها الاخوة ،

ان مسألة الامة كظاهرة اجتماعية غير منكورة قالام تملأ الارض وهي تطرح اسئلة ثلاثة :

الاول : ما هي الامة ؟ وفي الاجابة على هذا نظريات عديدة تعرفونها ولا تعيننا في هذا الحديث .

الثاني : كيف تتكون الامة ؟ والمتفق عليه انها تكوين تاريخي يتم على مدى حقبة طويلة من الزمان خلال المشاركة في احداث تاريخية نعرفها من تاريخ كل امة على حدة .

الثالث : الذي يعيننا الان هو :

لماذا تكونت الامم : لماذا لم تظل الاسر اسرا ، والعشائر عشائر ، والقبائل قبائل ؟ لماذا تجاوزت المجتمعات تلك الاطوار البدائية حتى وصلت الى طور التكوين القومي ؟ لا يمكن ان يكون قد تم هذا كله اعتبارا . فالاشتراكيون خاصة يعرفون من منهجهم العلمي الاشياء يتم اعتبارا او مصادفة ، وان كل شيء حتى حركة المجتمعات من الماضي الى المستقبل محكومة بقوانين تضبط حركتها واتجاهها . كما

فلننظر من هذه الزاوية ولنقدر الموقف العربي من الفسزو الصهيوني بما فيه « المقاومة » .

### حقيقة الموقف :

ان حقيقة الموقف من وجهة نظر قومية تتلخص فيما يلي :  
اولا : ان هناك غزوا صهيونيا لجزء من الوطن العربي يستهدف توطين اليهود عليه في دولة تمتد من الفرات الى النيل . بدأ الغزو الصهيوني تسلا قبل سنة ١٩٤٨ ثم مسلحا في ذلك العام ثم ما تلاه من توسع حتى سنة ١٩٦٧ ، وهو غزو في ظل دعم وتأييد الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية .

ثانيا : ان هذا الغزو موجه ضد الامة العربية بقصد الاستيلاء على جزء من الوطن العربي وانه قد بدأ واتسع ونجح حتى الان في غيبة اية قوة قومية . ذلك لان التجزئة التي اقامها ذات الاستعمار المؤيد للصهيونية ، والتي تجسدها الدول العربية الاقليمية ، قد حالت ، وتحول بين القوى المعتدبة وبين القوى القومية المعتدى عليها بان حرمت على الجماهير العربية ان تتصدى للدفاع عن وطنها باداة قومية سياسية ( دولة الوحدة ) او باداة قومية جماهيرية ( التنظيم القومي الثوري ) وان الدول الاقليمية على هذا الوجه قد اسهمت وتسهم بقدر في تغطية الغزو الصهيوني للوطن العربي .

ثالثا : انه في غيبة القوى القومية تصدت الدول الاقليمية لهذا الغزو في حروب دفاعية ثلاث على مدى عشرين عاما ، وانهزمت في كل مرة بالرغم من تفوق امكانياتها المتاحة وان المرجع الاساسي لفشلها هو انها دخلت معركة قومية - او ادخلت فيها - بذهنية اقليمية ، من منطلقات اقليمية ، بادوات اقليمية ، كانت غايتها ان تدرأ خطرا يهدد سلامتها الاقليمية ولم تكن لدى اية دولة عربية في اي يوم من الايام ارادة تحرير الارض العربية في فلسطين .

رابعا : ان معركة ١٩٦٧ قد اسفرت عن غزو الصهيونية لاجزاء من اقاليم بعض الدول العربية . وبذلك تغيرت طبيعة المعركة بالنسبة الى هذه الدول فاصبحت طرفا اصيلا في المعركة ، فلم تقبل الهزيمة كما قبلتها في ارض فلسطين ، ولم تقبل المفاوضات كما فاضت على ارض فلسطين ، وصمدت كما لم تصمد من قبل ، وهي تعد العدة لحرب هجومية لأول مرة في تاريخها ، كل هذا وهي تعلن وتكرر اعلانها بان حدود معركتها هي ازالة اثار العدوان اي تحرير ارضها وليس تحرير الارض العربية في فلسطين .

خامسا : الحقيقة الخامسة من حقائق الموقف ان قد اسفرت جولة يونيو سنة ١٩٦٧ عن دخول الجماهير العربية طرفا في القتال المسلح ضد الصهيونية في شكل منظمات فدائية ، صمدت للقتال بينما القوى جميعا منهارة ، وتصاعدت مقدراتها حتى فرضت وجودها على الاطراف التقليديين للمعارك السابقة : الصهيونية من ناحية والدول العربية من ناحية اخرى . تلك هي المقاومة احدى حقائق الموقف الراهن في الصراع ضد الصهيونية .

### المقاومة من وجهة نظر قومية

قلنا ان الحركة العربية التقدمية تمر الان بمرحلتها الاستراتيجية الاولى وهي الاعداد لبناء اداة الثورة العربية تنظيما قويا تقدما ثوريا ، وانها من هذا الموقع تقيم وتحدد موقفها من الاحداث والقوى جميعا . وعلى ضوء ما اوردها في نقاط خمس من حقائق الموقف في الوطن العربي يمكن تلخيص النظرة القومية على الوجه الاتي :

اولا : بالنسبة للغزو الصهيوني والامبريالي فانه يتناقض تناقض

بالتعاضد السلمي معها ، والتحالف مع حركاتها التقدمية ، ضد الرجعية العالمية المتحالفة . ذلك لان مجرد القول بحقيقة الوجود القومي للامم جميعا لا يعني ان امتنا ليست جزءا مؤثرا ومثارا بالنظر البشري كافة ، لاننا ايضا امة من البشر . تلك هي القومية .

### النظرة القومية :

عند هذا الحد ، حد اكتشاف المضمون التقدمي للقومية تصبح نظرية القومية ذات المضمون الاشتراكي عقيدة ( ايدولوجية ) كافية لتقييم الواقع العربي وتحديد استراتيجية تغييره ، وتعمئة قواه وقيادة المارك فيه وتحقيق النصر لجماهيره . اي تكون كافية للتحويل الى حركة قومية ثورية ذات منطلقات فكرية واستراتيجية حركية . اما المنطلقات الفكرية فيمكن تلخيصها في جانبها السلبي والاجباني في امرين .

١ - بما ان المجتمع العربي لا يتطور تطورا متكافئا مع امكانياته الا بحشد كافة امكانياته لتطويره ككل فان الاقليمية التي تجسد التجزئة فكرا وتنظيما هي حركة رجعية فاشلة : رجعية لانها تعوق التطور الاجتماعي في الوطن العربي وفي اي جزء منه تطورا متكافئا مع الامكانيات العربية المتاحة ، وفاشلة لانها محاولة لاعادة الامة الى طور متخلف عن الطور القومي وهو مستحيل بحكم حتمية التقدم الصاعد في حركة المجتمعات .

٢ - انه بحكم الوحدة الموضوعية للمشكلات القومية فان اية مشكلة في اي مكان من الوطن العربي هي مشكلة قومية غير قابلة لان تحل حلا تقديما متكافئا مع الامكانيات العربية الا من منطلق قومي باداة قومية في اطار التقدم الاجتماعي لجماهير الامة العربية ككل . وبالتالي فان الحل التقدمي النهائي لكل مشكلات التقدم في الوطن العربي لا يتم الا في ظل دولة الوحدة العربية الاشتراكية والديموقراطية .

ان هذا لا يعني ان كل جزء من الامة العربية عاجز تماما عن تحقيق بعض التقدم لجماهيره ، ولكن يعني تماما ان ما يتحقق في كل دولة اقليمية اقل بكثير مما كان يمكن ان يتحقق للشعب فيها في ظل دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية .

واما عن الاستراتيجية فهي قائمة على اساس تلك المنطلقات الفكرية . تبدأ بالواقع وتنتهي الى غايتها العظيمة « اقامة دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية » . وبدا بالواقع العربي يمكن تقسيم استراتيجية الحركة العربية التقدمية الى خمس مراحل : المرحلة الاولى : الاعداد الفكري والبشري لقيام اداة الثورة العربية المرحلة الثانية : اقامة اداة الثورة العربية تنظيما قويا اشتراكيا ثوريا

المرحلة الثالثة : اشعال الثورة العربية التحررية الوحدوية الاشتراكية

المرحلة الرابعة : اقامة دولة الوحدة النواة العربية الثورية .

المرحلة الخامسة : تصفية الاقليمية و اقامة دولة الوحدة الشاملة الاشتراكية الديمقراطية .

وطبيعي ان كل مرحلة من هذه تطوي على مراحل تكتيكية لا داعي لحصرها الان ولا يمكن التنبؤ بها مستقبلا . المهم ان نعرف ان الحركة العربية التقدمية تمشي الان في مرحلتها الاستراتيجية الاولى : مرحلة الاعداد الفكري والبشري لقيام اداة الثورة العربية . وانها من موقفها في هذه المرحلة تنظر وتقيم وتتخذ موقفا من اي حدث دولي او عربي او اقليمي ، ومن كل القوى ، والصراعات والحروب . وعلى ضوء مقتضيات هذه المرحلة تنظر وتقيم وتتخذ موقفا من الغزو الصهيوني ومن المقاومة .

٢ - اتجاه اقليمي فلسطيني يشكل الجانب الاكبر من المقاومة يمثل شعب فلسطين ويقاوم من اجل تحرير فلسطين لاقامة دولة فلسطينية .

٣ - اتجاه قومي غير متبلور وغير مفرز تماما ومتناثر بين منظمات محدودة الحجم او في قواعد كل المنظمات تقريبا .

وكل الاتجاهات تقاوم اليوم معركتها المشتركة ضد الصهيونية ، فهي في وضع يفرض عليها التحالف والتنسيق بين قواها . ولكننا نستطيع بسهولة ان نرى ان الاتجاه الاول سيخرج من المعركة بمجرد انقضاء مرحلة ازالة آثار العدوان اي بخروج الدول العربية المرتبط بها من المعركة بعد استرداد ما ضاع من اقاليمها في يونيو ١٩٦٧ .

اما الاتجاه الثاني الذي يجسد الاقليمية الفلسطينية فانه سيقاوم الى ان تتحرر فلسطين لان غايته ان يحررها وان يقيم فيها دولته . وهنا قد يبدو ان الاقليمية لا تساوي الفشل . والواقع انه الى ان تزول آثار العدوان قد لا تكون الاقليمية الفلسطينية سببا في اضعاف مقدره المنظمات التي تجسدها . ولكن لننظر ماذا بعد ازالة آثار العدوان ؟ عندما ينفص حلفاء المرحلة ويعود حرس الحدود الى الحدود ، وتطرح قضايا الامن الداخلي والالتزامات الدولية ، عندئذ ستكون تلك المنظمات امام اختبار دقيق . اما ان تصفي قواعدها او تقبل تصفيتها ، واما ان تستولي على قواعد في الدول العربية بالقوة المسلحة اي تدخل معارك ضد الاقليمية العربية ذاتها . ولن تكون حاجتها في هذا الا ان لها حقا في الارض العربية خارج فلسطين ، اي الا اذا لاذت بالمنطلق القومي ، عندئذ ستبين كم اخطأت عندما اختارت الملاذ الاقليمي . ولن تكون لها فرصة كسب المعركة الا اذا قبلت ان تكون للجماهير العربية حقا فيها وفي فلسطين لان ذلك هو المبرر لالتزام تلك الجماهير بتكليفها من النصر في قلب الارض العربية خارج فلسطين وعندئذ ستبين ان الاقليمية تساوي الفشل ولو بعد حين . فان قبلت فقد تحولت الى قوة قومية . ولا بد ان تقبل . نقول لا بد لان الحقيقة الموضوعية لمعركة تحرير فلسطين انها معركة قومية ، لا تنصر فيها الا القوى القومية . ورغم كل قصر النظر ، وكل حسن النية ايضا ، فان المنظمات الاقليمية الفلسطينية ستجد نفسها في وقت ليس ببعيد انها اما ان تصبح قومية واما ان تهزم . لن يهزمها الاسرائيليون بل ستهزمها الاقليمية ، الاقليمية فيها والاقليمية خارجها . ان ما تواجهه في لبنان نموذج وانذار لما ستواجهه فيما بعد في دول عربية تقف معها الآن ضد الاقليمية اللبنانية .

انه مما يحير الفهم الا يرى الشباب الذين بلفت ثورتهم حد الغداء المأزق القريب الذي هم مساقون اليه . ان كل ما سمعناه تايدا لشعار « مسؤولة شعب فلسطين عن تحرير فلسطين » هو ان عززل الشعب الفلسطيني عن قضيته طوال عشرين عاما وتصدي الدول العربية للغزو الصهيوني هو الذي اضاع فلسطين . ولا شك في ان عزل الشعب العربي من فلسطين عن معركة تحرير فلسطين وحبسها في مخيمات اللاجئين احد الاسباب التي مكنت للغزو الصهيوني من ان يستقر فترات طويلة بدون مقاومة . ولا شك في ان تصدي الدول العربية للغزو الصهيوني هو الذي اضاع فلسطين . ولكن الا نتبين بوضوح انه اذا كانت الدول العربية قد عزلت الشعب العربي من فلسطين في مخيمات اللاجئين وحالت بينه وبين القتال لتحرير الارض المحتلة فانها في ذات الوقت كانت قد حبست الجماهير العربية في حدودها الاقليمية وحالت بينها وبين القتال لتحرير الارض المحتلة . وقالوا : لقد انقضى عشرين عاما ونحن مشردون ضائعون بلا وطن وبلا هوية ، فنحن نقاوم من اجل تحرير فلسطين ليكون لنا فيها ما نفتقده من وطن وهوية . وهذا صحيح ، ولكن الا نتبين بوضوح ان الاقليمية العربية هي التي حالت دون ان يكون لكم وطن وتكون لكم هوية يوم ان اعتبرتمكم انتم الذين تلقيتم عنها الضربة الموجهة الى الامة العربية كلها ، اجانب غرباء في بلادها ؟ الا نتبين بوضوح ان الاقليمية هي التي حاولت

الحياة والموت مع الحركة القومية لانه يستهدف الاستيلاء على ذات الارض التي تستهدف اقامة دولة الوحدة العربية ، عليها والقضاء على اي امل في قيام حياة افضل على الارض العربية ، وبالتالي فان سحق اسرائيل وتصفية الصهيونية العالمية هي القضية الاولى والاساسية للنضال العربي .

ثانيا : انه اذا كان ذلك الفوز قد بدأ واتسع ونجح في غيبة القوى القومية - الطرف الاصيل في المعركة - فانه قابل للتوسع والنجاح طالما كانت القوى القومية بعيدة عن ساحة القتال وان التنظيم الثوري القومي الجماهيري والسياسي هو الاداة الوحيدة القادرة على سحق اسرائيل وتصفية الصهيونية .

ثالثا : ان الدول العربية ، كانت ، وما تزال ، وستظل ، منفردة او متحالفة غير قادرة على تحرير فلسطين لسبب بسيط هو ان تحرير فلسطين يقع خارج نطاق اهدافها كدول اقليمية وبالتالي فان اي مخطط لتحرير فلسطين يجب ان يقوم بعيدا عن اية تبعية لاية دولة عربية سواء كانت تبعية سياسية او تنظيمية او مالية او ادارية .

رابعا : غير ان الدول العربية التي فقدت اجزاء من اقاليمها في حرب يونيو ١٩٦٧ قد اصبحت طرفا اصيلا في المعركة التي ان تزول آثار العدوان ، ولهذا فان الموقف القومي يتطلب دعم مقدرتها على الصمود وتنمية مقدرتها على القتال ودفعها الى المعركة والحيلولة دون انسحابها منها او استسلامها ، مع التحوط ضد ما تعلنه من ان حدود معركتها تقف عند حدود ١٩٦٧ .

خامسا : اما عن المقاومة كاسلوب فذلك هو المدخل التاريخي لانجاز المرحلة الاستراتيجية الاولى من مراحل الثورة العربية . فقد كانت الحركة العربية التقدمية تواجه صعوبات جسيمة تحول دون بناء تنظيمها القومي . كانت في حاجة الى مكان في الوطن العربي لا تمتد اليه قوانين وشرطة ومحاكم وسجون الدول الاقليمية . وكانت في حاجة الى ساحة نضال تبعية فيها قواها وتربسي كوادرها وتخوض معاركها بعيدا عن رقابة او وصاية او تخريب الدول الاقليمية . وكانت في حاجة الى تكوين جماهيري ثوري يتم ويقوم ويكتسب شرعية من مقدرته الذاتية على الوجود بعيدا عن جهود الدول الاقليمية . وكانت في حاجة الى الوجود المنظم الذي يمثل الجماهير العربية ككل ، ويحقق وحدتها القومية في ذاته ، بدون اعتداد بالانتماء السياسي لاية دولة عربية .

كانت - باختصار - في حاجة الى ممارسة اسلوب القتال الجماهيري المسلح الذي يكون السمة المشتركة بين منظمات المقاومة القائمة في الساحة الآن . الساحة التي هي مكان من الوطن العربي بعيد - فعليا - او يمكن ان يكون بعيدا عن قوانين الدول الاقليمية وشرطتها ومحاكمها وسجونها .

فكان المقاومة - من وجهة نظر قومية - تشمل افضل الامكانيات المتاحة مرحليا لبناء اداة الثورة العربية .

## دعوة الى القوى العربية التقدمية :

هل ينطبق هذا على كل منظمات المقاومة ؟

لا يمكن الهروب من الاجابة عن هذا السؤال الدقيق . فلنحاول الاجابة عنه في اطار ثلاثة حدود لا نتخطاها . اولها : اننا ندمم المقاومة ككل ضد العدو الرئيسي لامتنا العربية . ثانيا : اننا لا نعرف كثيرا عن حقيقة المنظمات في الساحة . ثالثا : ان المقاومة بكل منظماتها لم تتبلور بعد - نهائيا - لا فكريا ولا تنظيميا ، فهي قابلة للتطوير والتطور . في هذه الحدود نرى ان ثمة ثلاثة اتجاهات في المقاومة .

١ - اتجاه اقليمي مرتبط ببعض الدول العربية تنظيميا او ماليا او سياسيا .

وتحول دون ان يكون لكم في دولسة الوحدة وطن وهوية ؟ فلماذا لا تقاتلون من اجل ما هو اسمى واشمل ، وتحاكمون القومية بما جنت أيدي الاقليمية ؟ لماذا نصاغ المقاومة صيغة اقليمية فتصطع بينها وبين الجماهير العربية حدودا بدون ارض وهوية بدون دولة وتمييزا بدون موضوع . لكسب الرأي العام العالمي من خلال فكرة « الدولة الفلسطينية الديموقراطية » ؟ .

هذا حوار افضل . ولكن هل جريتم كسبه من خلال فكرة « دولة الوحدة الديموقراطية » ؟ الحق انكم لا تكسبون الا بمقدرتكم على النصر . ومع هذا فانما نسعى الى كسب الحلفاء والمؤيدين « للقضية » التي تكافح من اجلها والتي نعتقد انها حق وعادلة . ولكننا لا نغير قضايانا من اجل كسب الحلفاء والمؤيدين . افلا تعتقدون ان قضية « دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية » اكثر حقا وعدلا من قضية « دولة فلسطين الديموقراطية » ؟

ان الجماهير العربية تعتقد انها اكثر حقا وعدلا واولى بان تكسب تأييد كل القوى التحررية التقدمية في العالم ولو بعد حين .

اننا نستطيع ان نستنرد الى ما لا نهاية ، ولكن الالتزام القومي يفرض علينا ان نؤيد ونقدم المقاومة ككل ، ونؤيد ونقدم المقاومة الفلسطينية بوجه خاص . لاننا نتحدث ونحن مشتبهون في المعركة فلا يمكن ان نخذل المقاومة عموما . ولاننا نعرف انه عندما تنسحب القوى الاقليمية العربية من ساحة القتال على اثر ازالة آثار العدوان ، لن تبقى في الساحة الا المقاومة الفلسطينية التي ستقاتل الى ان تحرر فلسطين ، فهي حليف طويل الامد نسبيا ، للقوى القومية تلك التي يمثلها الاتجاه الثالث .

هذا الاتجاه الثالث لم يتبلور بعد ، وتتوقف بلورته على التعجيل باقامة التنظيم القومي الثوري الذي تكون منظمته المقاتلة فسي ساحة المقاومة هي قوته الضاربة ، وتتحرك تحت قيادته طبقا لاستراتيجيته وفي حماية قواعده المنظمة على المستوى العربي .

كيف يتم هذا ؟

اننا نعرف ان شبابا عربيا في صفوف المقاومة يحلم احلاما غير واقعية وان شبح « جيفارا » العرب يبعث بمخيلة كثير من شبابنا العربي . وان فلسفة « النواة المسلحة » المعزولة عن الجماهير ، غير المبلورة عقائديا ، التي تبني استراتيجيتها عن طريق التراكم التكتيكي ، وتبني قاعدتها الجماهيرية من خلال المارك ، وتكون عقيدتها الثورية بعد ان تنتصر ، هذه الفلسفة التي روج لها « ريجي دوبريه » تتداول في صفوف المقاومة . وان اكثر من منظمة قد تعجلت فاختارت اسمها ، ورسمت شعاراتها ، ووضعت هوائيقها ، ورفعت شعاراتها القومية وهي تنتظر التحام الجماهير العربية حول قيادتها اعتقادا منها بان هكذا يكون التنظيم القومي التقدمي الثوري . اننا نشفق على هؤلاء الشباب من خيبة الامل الريرة التي سيعانونها عندما يجدون ان الجماهير العربية ، وان كانت تعطف عليهم ، لا تلتحم بهم . ونخشى ان ينزلقوا حينئذ الى اتهام الجماهير لانها لم تستجب الى دعوتهم المعجولة .

وبهنا ان نقول لكل المناضلين الذين يمثلون هذا الاتجاه ، وينتظعون الى ان يكونوا القوة الضاربة لجماهير امتهم العربية ، ان عبقرية « جيفارا » البطل كانت على وجه التحديد في استجابته لواقع الثورة في كوبا واختياره الاسلوب المناسب لها بدون تقييد بالاساليب التقليدية ، وان محصلة الخبرة من ثورة كوبا الناجحة هي انها غير قابلة للتكرار بعيدا عن مثل الواقع الذي افرزها .

ان تحرير فلسطين احدى المهمات الاساسية للثورة العربية ولكنها جزء من معركة التحرر العربي . ومعركة التحرر العربي ليست سوى مقدمة لوحدة الوطن العربي . وحتى معركة الوحدة ليست الا جزءا مكملا لمعركة الاشتراكية . والنصر في كل تلك المارك لازم لتحقيق الغاية النهائية : اقامة دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية التي تقدم للجماهير العربية في كل مكان امكانيات الحياة الافضل . ان

نجاهل هذه الوحدة الموضوعية بين مشكلات الحياة في الوطن العربي لن يؤدي الا الى الفشل . ان الجماهير العربية مع كل المناضلين ضد الاعتداء الصهيوني الامبريالي ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هسو الى اي مدى ؟ لن تنتصر المقاومة ولن تنتصر الثورة العربية الا اذا كانت الجماهير العربية في كل مكان ملتزمة بدعمها والمساهمة فيها حتى الموت . ليس الموت في معركة المقاومة ضد الصهاينة فقط ، بل الموت حتى بعيدا عن الجبهة ضد القوى الاقليمية والامبريالية والرجعية والانهازمية . لا يمكن ان تنتصر المقاومة وهي تواجه القوى الصهيونية والامبريالية الا اذا استندت الى جماهير منظمة قادرة على ان تؤمن للمقاتلين قواعدهم ومواردهم المادية والبشرية ومواصلاتهم ، وان تفرض سيطرتها على اي مكان في مؤخرة المقاتلين بمق الوطن العربي كله . ان هذا لن يتحقق كما يجب ان يكون الا ان احاطت اسرائيل دولة الوحدة النواة كقاعدة للثورة ، ومع ذلك فان المعركة مستمرة وليس مقبولا قوميا التخلي عنها لفتح معركة الوحدة ضد الاقليمية . ولكننا على يقين من ان الاقليمية هي التي ستفتح المعركة قبل ان تتحرر فلسطين لتصفية المقاومة . ان اوسع التأييد الذي يحيط بالمقاومة الآن لا يمكن ان يخفي عن النظرة القومية العلمية ان تلك المعركة فادمة لا شك فيها . وحينئذ سوف يتوقف النصر او الهزيمة على ما اذا كان للفوة المقاتلة فسي فلسطين قواعدهم الجماهيرية فادرة على مواجهة الاقليمية والانتصار عليها ام لا .

ان هذا يحتم ان تكون المقاومة القومية جزءا من تنظيم جماهيري ثوري يضم الجماهير العربية في باقي اجزاء الوطن العربي ويؤمن لقونه الضاربة المقدرة على الاستمرار في القتال حتى النصر . فهل تكفي بطولة اسلح محورا لهذا الانتقاء ؟ هل يكفي التأييد العاطفي للموت في سبيل استمرار المقاومة حتى النصر ، ولو تطلب هذا العصف بوحدة او اكثر من الدول العربية ؟

نقول لا يكفي . فان الجماهير العربية لا تقدم على الموت انفعالا ولكن تصمحي في سبيل غايات معروفة ومحددة . والجماهير العربية على استعداد للتضحية من اجل ازالة آثار العدوان ، ومن اجل تحرير فلسطين ، ولكنها لا تقدم على الموت الا اذا عرفت انها يموت من اجل حياة افضل لاسرها واولادها . الا اذا عرفت علاقة النصر فسي معركة ازالة آثار العدوان ، او معركة تحرير فلسطين بالنصر في معركة الحياة . ذلك هو المصدر الوحيد للصلابة الثورية والمقدرة على مواجهة مخاطر المعركة الطويلة المريرة .

ولا احد يستطيع ان يقدم للجماهير العربية ضمانا بان تضحياتها ستؤدي الى مستقبل اكثر رخاء واكثر حرية الا هي ذاتها متجمعة وملتزمة في تنظيم قومي غابته النهائية ان يحقق لها حياة افضل : ان يقيم لها دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية . اذن لا تكفي اخوة السلاح بمون التزام عقائدي ، ولا تقني الجهات المساندة عن الوحدة التنظيمية ، كما لا يعني التحرك الانفعالي عن المسيرة العلمية .

ان مثل هذا البناء ليس مسؤولية المقاومة القومية ، ولكن المقاومة القومية شريكة فيه وذات حق في ان تكون جزءا منه . لهذا فاننا لم نوجه دعوتنا الى المقاتلين في ساحة المعركة . ان كل ما هو مطلوب من هؤلاء ان يلتحقوا في منظمة مقاتلة وان يثبتوا من خلال المارك الحينة جدارتهم بان يكونوا القوة الضاربة لجماهير امتهم العظيمة ، ثم ان يحذروا من اغراءات البطولة فيتحدوا الى تلك الجماهير من مواقع مسلحة ، وان يتجنبوا ان يصوغوا انفسهم فكرا وتنظيما وحركة فسي استعجال معزول عن مساهمة الجماهير نفسها في تلك الصيغة الفكرية التنظيمية الحركية . ثم ان يقبلوا من الآن ان يكونوا جزءا من تنظيم قومي ثوري يعملون تحت قيادته .

الى متى ؟

لا يمكن ان يطلب منهم الانتظار - الى ان تخرج القوى القومية التقدمية من تردها المدمر وتكف عن الانتظار العميق حتى تحقيق

ج - الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والاستعمار .

٥ - حلفاؤها : الرجعية العربية العميلة للاستعمار والولايات المتحدة الاميركية .

٦ - قوى تسحب من المعركة او التحالف .

٢ - المنظمات الاقليمية العربية ( من غير فلسطين ) .

ب - الدول العربية الاقليمية .

ج - القوى الماركسية في الوطن العربي ( من غير فلسطين ربما ) .

د - قوى المعسكر الاشتراكي .

لقد وضعنا الاجابة بهذه الصيغة ليسهل علينا تحديد ضوابط المواقف التكتيكية للقوى العربية التقدمية على ضوء التفرقة الحاسمة بين قوى المعركة في كل من المرحلتين . ويمكن اجمال تلك الضوابط فيما يلي :

اولا : انه لا يجوز تحت اي ظرف اثاره معارك مع القوى الحليفة في كل مرحلة فلن يستفيد من هذا الا العدو المشترك . ان الوقوف موقفا عدائيا ، عدائيا ، او حركيا ، ضد اية قوى مقاتلة ، او مشتبكة ، او مجابهة ، عسكريا ، او فكريا ، او سياسيا ، لقوى اعدائنا وحلفائنا ، خطأ تكتيكي مدمر في هذه المرحلة . ان اقصى ما يمكن الذهاب اليه هو اتخاذ موقف دفاعي ضد الحلفاء الذين يرتكبون هذا الخطأ ، بدون وعي ، او استقلالا لظروف المعركة قاصدين تحقيق النصر لحسابهم الخاص . على ان يبذل كل صبر ثوري ضد اي استفزاز ، وتبذل كل محاولة ممكنة لتنمية اسباب التعاون وتوثيق التحالف وتصفية اسباب الخلاف . نقول هذا مدركين تماما ان الساحة لا تخلو من تخطيط واع لتخريب العلاقة بين القوى التي تقف معنا لفض تحالفها او تحويلها عن هدفها المشترك . كما اننا ندرک تماما التخريب الذي قد ينتجه الجهل الذي يعربد تحت حماية السلاح ، او الانتهازية التي تبحث عن مكاسبها الخاصة . ولكننا مدركون في الوقت ذاته ان الاستجابة لكل هذا والمساهمة فيه عن طريق قبول الدخول في معارك جانبية بين القوى المتحالفة هو « موضوعيا » وبصرف النظر عن المبررات اضعاف للمقدرة العربية ومساعدة غير مباشرة للقوى المعادية .

ثانيا : ان مواقع القوى ستتغير جذريا بعد انتهاء مرحلة ازالة آثار العدوان . والدخول في مرحلة تحرير الارض المحتلة من فلسطين قبل سنة ١٩٦٧ وتصفية الوجود الاسرائيلي . وان كثيرا من القوى المشاركة الآن في القتال ، والحليفة ، ستسحب من المعركة ثم تكتفي بالتأييد الادبي ، او تقف على الحياد ، او تنضم الى تحالف القوى المعادية . انها تلك القوى التي تقبل الوجود الاسرائيلي على الارض العربية او غير مستعدة للقتال حتى تصفية ذلك الوجود . تلك هي اخطر مرحلة سيواجهها النضال العربي . وفيها ستقع مسؤولية الاستمرار في المعركة على عاتق :

١ - القوى القومية التي تقاتل من اجل تحرير فلسطين لانها جزء من الوطن العربي ولتقيم دولة الوحدة .

٢ - القوى الاقليمية الفلسطينية التي تقاتل من اجل تحرير فلسطين لانها وطنها الخاص لتقيم فيه كما تقول « الدولة الفلسطينية الديموقراطية » .

ثالثا : على ضوء هذا فان ضابط الموقف القومي من المقاومة الآن اي في مرحلة ازالة آثار العدوان تتلخص في امرين : ( ا ) دعم المقاومة ككل في مواجهة القوى المعادية وحمايتها من محاولات الاضعاف او التصفية والوقوف معها ضد اية قيود تفرضها عليها الدول العربية . ( ب ) ندد المقاومة في خصوصية « الاقليمية » عن طريق التركيز على ما تسببه تلك الاقليمية ( فكريا ، وصيغة ، وعلاقات ) من اضعاف لمقدرتها على النصر .

شروطها الخاصة لكي تقتحم المعركة . ان الجانب الاساسي من بناء التنظيم القومي الثوري يقع على عاتق القوى العربية التقدمية وليس على جانب المقاومة . وان مسؤولية النصر في المعركة الدائرة ضد اسرائيل واقعة على عاتق تلك القوى . وهي اذ تنخلى عن مسؤولياتها لن تستحق الا هزيمة اخرى . ولن يجديها حينئذ البكاء مرة اخرى كما بكت في يونيو ١٩٦٧ .

ان كنان « انصار » المعركة يجب ان تشكل في كل مكان من الوطن العربي لدعم المقاومة فكريا وماليا وبشريا وسياسيا وعسكريا تهييذا لالتحامها مع المقاتلين القوميين من خلال مؤتمر قومي ينبثق عنه التنظيم القومي الاشتراكي الثوري . عندئذ ستتحول المقاومة الى اداة للثورة العربية قادرة على ان تستمر في المعركة حتى النصر . تلك هي المقاومة من وجهة نظر قومية .

## الموقف القومي من المقاومة :

« المقاومة » من وجهة نظر قومية تعني المقاومة كما يجب ان تكون . اما الموقف القومي من « المقاومة » فيعني موقف القوى القومية التقدمية ( منظمة او غير منظمة ) من المنظمات الاخرى المشتبكة في القتال ضد الغزو الصهيوني للارض العربية . وهذا الموقف يتحدد بالموقف القومي من المعركة وقواها .

ونحن نرى بوضوح ان لمعركة تحرير فلسطين مرحلتين :

### ١ - المرحلة الاولى :

١ - الهدف : ازالة آثار العدوان ( استرداد الارض المحتلة بعد يونيو ١٩٦٧ ) .

٢ - القوى الرئيسية : القوى القومية التقدمية المقاتلة والشعبية .

٣ - القوى الحليفة :

٢ - المنظمات الجماهيرية الاقليمية المقاتلة .

ب - الدول العربية .

ج - القوى الماركسية في الوطن العربي .

د - قوى المعسكر الاشتراكي ( دوليا ) .

هـ - قوى الحركة التحررية المالية .

٤ - القوى المضادة :

٢ - القوى الاسرائيلية ( الدولة ) .

ب - القوى الصهيونية ( المنظمة عاليا ) .

٥ - حلفاؤها :

٢ - القوى الامبريالية ( الولايات المتحدة الاميركية والاستعمار ) .

ب - القوى العربية المرتبطة بالاستعمار والولايات المتحدة الامريكية .

ج - القوى الداعية الى المساومة او الاستسلام .

د - القوى العاملة على اضعاف المقدرة العربية على القتال .

### ٢ - المرحلة الثانية :

١ - الهدف : تحرير فلسطين وتصفية الوجود الاسرائيلي .

٢ - القوى الرئيسية : القوى القومية التقدمية المنظمة المقاتلة والشعبية .

٣ - القوى الحليفة : القوى الاقليمية « الفلسطينية » .

٤ - القوى المضادة :

٢ - القوى الاسرائيلية ( الدولة ) .

ب - القوى الصهيونية ( المنظمة عاليا ) .



## ٢ - الحوار

مدخل :

سؤال ( ١ )

أليس من المبالغة القول باننا ما نزال نفتقد من الفكر المحرك اكثر مما نفتقد من السلاح ؟ لقد هزمتنا اسرائيل بقوة مسلحة متفوقة ولم تهزمتنا في مناظرة فكرية . بل ان الواقع الاجتماعي الذي يضم اشتاتنا من الناس في الارض المحتلة وكما يشير اليه تعدد الاحزاب وكثرتها هناك يدل على تمزق الاتجاهات الفكرية . وبالرغم من هذا فان المقدرة المادية قد حققت لاسرائيل النصر حتى الآن .

جواب ( ١ )

لا اعتقد ان هناك مبالغة في القول باننا نفتقد من الفكر المحرك - الفكر المحرك وليس الفكر المجرد - اكثر مما نفتقد من السلاح . وليس صحيحا ان مرجع انتصار اسرائيل على الدول العربية حتى الآن هو تفوقها في القوة المسلحة . الاسباب اعماق واقدم من هذا . لقد ثبت ان اسرائيل كانت تعد العدة للقتال في سنة ١٩٦٧ منذ ١٩٥٦ . وكانت تعد للقتال ١٩٥٦ منذ ١٩٤٨ . وكانت تعد للقتال سنة ١٩٤٨ منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٢٩ . ومن قبل هذا بنصف قرن كانت تصد المقاتلين والمال اللازم للقتال . ان هذا التخطيط طويل المدى ( الاستراتيجي ) هو المرجع الاول لانتصار الصهيونية حتى الآن . وقد كانت الصهيونية العالمية تخطط للمستقبل منذ اكثر من قرن على ضوء فكرة محددة ومحركة هي اقامة دولة يهودية تمتد من الفرات الى النيل . ولا شك ان الفكرة ذاتها غير مقطوعة الصلة بمعطيات مادية وفكرية سبقتها، ولكن ابتداء من تكوين الحركة الصهيونية اصبحت القوة المادية المالية والعسكرية تعد وتنقي ويتم التدريب عليها لتكون كافية لتحقيق اهداف الصهيونية خطوة خطوة . ولولا هذه الوحدة الفكرية لما التزم الصهاينة جيلا بعد جيل وفي كل مكان من الارض بان يبذلوا من اموالهم وجهدهم ما يكفي لبناء قوة عسكرية متفوقة .

اما عن اندماد الوحدة الفكرية في الارض المحتلة بين اشتات من الناس فتلك حقيقة يجب ان نفهم في حدودها . أنهم مختلفون فيما يتعلق بكيفية الحياة في اسرائيل . ويذهبون في هذا الاختلاف من اقصى اليسار الى اقصى اليمين . ولكن خلافهم هذا لا يتجاوز مداه ليتناول وجودهم في الارض المحتلة ، اي وجود اسرائيل . ان الوحدة الفكرية هنا متحققة الى اقصى درجاتها . وهي هي الفكرة المحركة للنشاط الهادف الى اعداد القوة العسكرية المتفوقة . اي ان التفوق المادي استلزمته واقامته فكرة الحفاظ على الوجود الاسرائيلي والتوسع فيه حتى يتم تحقيق الغاية القديمة ، الدائمة ، اقامة دولة يهودية من الفرات الى النيل وفي هذا هم متفقون .

على عكس هذا كان الامر في الجانب العربي . اننا نمتلك امكانيات مادية وبشرية اكثر بكثير مما تملكه الصهيونية العالمية . ونستطيع ان نعد قوة عسكرية اكثر تفوقا مما تستطيع اسرائيل . كان ذلك هو الوضع دائما . ولكن العقيدة المحركة لحشد هذه الامكانيات والاعداد العسكري لهزيمة الصهيونية كانت مفتقدة دائما . وليس ادل على هذا من ان الحروب التي خاضتها الدول العربية كانت كلها حروبا دفاعية . كما انها دخلت كل الحروب بدون ان تكون مستعدة لها ، او حتى بدون ان تتوقعها . واقتناع الفكر المحرك هو الذي حال دون اللقاء العرب على تخطيط استراتيجي طويل المدى لمواجهة المخططات الصهيونية . وهو الذي حال دون وحدتهم اللازمة لهزيمة الفز الصهيوني الامبريالي .

انه اذا كان يبدو الآن على ضوء احداث جرت في يونيو ١٩٦٧ ان التفوق المادي العسكري كان العامل الحاسم في الهزيمة ، فان هذا لا

يعني ان اسباب هزيمة ١٩٦٧ كانت عسكرية ، بل الهزيمة العسكرية كانت النتيجة الختمية لاسباب اسبق منها واعماق . اهمها انه لم تكن لدينا فكرة محركة تحدد الغاية التي اعدنا لها قواتنا المسلحة . وعندما جاءت المعركة لم نفتقد السلاح فقد كان وفيرا ، ولكننا افتقدنا معرفة كيف نستعمله .

ماذا تعني المقاومة :

سؤال ( ٢ )

ان الحديث عن (( المقاومة )) ككل بالرغم مما قيل من انها مجسدة في منظمات متعددة متميزة من حيث منطلقاتها الفكرية او تركيبها البشري او غاياتها الاستراتيجية ، والتركيز على انها (( اسلوب القتال الجماهيري )) فيه عناية بالشكل اكثر من العناية بالمضمون ، في حين ان العبرة في استحقاق اية ثورة للنصر هو بمضمونها الاجتماعي . هل تجوز التسوية مثلا بين منظمة تخوض الثورة من اجل مجتمع اشتراكي لمصلحة الكادحين وبين بعض المنظمات التي لا تريد حتى ان تفصح عن مضمون التزامها الاجتماعي ؟

جواب ( ٢ )

لا توجد حركة ، ولا ثورة ، بدون مضمون . بل ان كل حركة او ثورة ذات مضامين مركبة . والحديث عن المقاومة كاسلوب قتال جماهيري لا يعني تجاهل مضامينها الاجتماعية ، ولكن يعني اختيارا للزاوية التي تتصل بموضوع الحديث . والمقاومة ككل متميزة بانها اسلوب قتال جماهيري . اما من حيث مضامينها فانها جميعا كما نفتقد ذات مضمون (( تحرري )) بحكم انها قوة مقاتلة ضد الفز الصهيوني . وهي هنا متشابهة بل انها لا تتميز في هذا عن حركة الدول العربية التي تواجه اسرائيل . فحركاتها تلك ذات مضمون تحرري ايضا . وفيما يتجاوز المضمون التحرري تختلف المنظمات والدول نفسها من حيث المضمون الاجتماعي . وحتى ونحن نتكلم عنها من موقف قومي فانا نأخذ موقفا ذا مضمون تحرري وحدوي اشتراكي ، ونقيسها على موقفنا ، ندعوها اليه . لاننا نعتقد ان العبرة في استحقاق اية ثورة للنصر ليس بمضمونها الاجتماعي فقط ، ولكن بمضمونها الصحيح اي الذي يستجيب لمتطلبات الواقع . والواقع هنا واقع عربي محتل مجزأ متخلف . ونحن لم نشأ ان ندخل في محاكمات المنظمات بعضها لبعض الاخر ، اعتقادا منا بان القضايا التي تختلف عليها لا تؤثر في استحقاقها للنصر الا من حيث بعدها او قربها من المضمون القومي التقدمي الذي ندعوها اليه . وان الخلاف حول المضامين الاجتماعية لا ينفي الوحدة حول المضمون التحرري الذي لا يكتمل الا في اطاره القومي . مع ملاحظة ان استحقاق النصر هنا ليس استحقاقا قانونيا بل يستحق النصر من يقدر على تحقيقه ولا تقدر عليه وبالتالي لا تستحقه الا المقاومة القومية الاشتراكية . ان اي مضمون غير هذا ، او دون هذا ، او يتجاوز هذا ، خطأ لن يؤدي الى النصر .

الوجود القومي :

سؤال ( ٣ )

اني لا اري ان المدخل الى معرفة الوجود القومي او الامة هو ان نبدأ كاشتراكيين . وربما يكون العكس هو الصحيح . اي اننا اذا بدأنا كقوميين يمكن ان نصل الى ان نكون اشتراكيين ، باعتبار ان القومية تتضمن الولاء للجماهير العريضة التي تتكون منها الامة ولان الوجود القومي اقدم من النظام الاشتراكي وسابق عليه تاريخيا .

- التتمة على الصفحة ٥٤ -

## المقاومة من وجهة نظر قومية

— تنمة — المنشور على الصفحة ١٠ —

جواب ( ٣ )

ان الوجود القومي ( الامة ) كمعطى موضوعي يمكن معرفته عن طريق المناهج العملية . فالبحت العلمي هو المدخل الصحيح لمعرفة الوجود القومي . وقد عرف كثير من الناس حقيقة انتمائهم القومي وتعرفوا على امتهم قبل ان يعرفوا شيئاً عن الاشتراكية . ولكننا في حديثنا لا نستهدف التذليل على الوجود القومي . انما نستهدف الوصول الى افئاع بعض الاشتراكيين في حوار موجه اليهم بان القومية رابطة نقدية اولا تقوم عقبه في سبيل الاشتراكية . وفي مراحل سابقة وضع القوميون تحت نظر هؤلاء الاشتراكيين دراسات علمية عن القومية وتركوا لهم ان يتعرفوا على تلك العلاقة بانفسهم . ولكن في هذه المرحلة حيث اصبحت وحدة القوى التقدمية ملحة بحكم المعركة ، نرى ان ندير الحوار معهم انطلاقا من مواقفهم ذاتها ليتبينوا انهم كاشتراكيين مطالبون بالالتزام القومي . وعلى هذا فالاشتراكية ليست مدخلا لمعرفة الوجود القومي ، ولكنه المدخل الذي قد يكون مناسباً لاجراء بعض الاشتراكيين من عزلتهم وتحطيم جهودهم العفائدي وانفتاحهم على جماهير امتهم .

سؤال ( ٤ )

اذا كان صحيحا ان البدء من منطلق اشتراكي يؤدي بنا الى ان نكون قوميين فكيف يمكن التوفيق بين هذا وبين الخبرة التاريخية التي اثبتت ان الاشتراكية نجحت في كثير من انحاء العالم كنظرية وكثورة وفي التطبيق بدون اعتداد بالقومية بل نستطيع ان نقول من موقف معاد للقومية .

جواب ( ٤ )

اولا ان الخبرة التاريخية للاشتراكية كنظرية وفي التطبيق لم تكمل بعد حتى نستطيع ان نحتكم الى محصلتها النهائية . ولكن ما تحقق حتى اليوم من خبرة يدل على اتجاه ثابت لاكتشاف العلاقة بين القومية والاشتراكية . فكلنا يعرف ان الاشتراكية التقليدية بدأت بموقف عدائي صريح للقومية على زعم انها من خلق الجورجوازية المستقلة التي تسعى الى السيطرة على السوق القومي . ولكننا نعرف الآن وبعد اكثر من نصف قرن من التطبيق الاشتراكي ان اكثر الدول الاشتراكية قد اعترفت — من خلال خبرتها في تطبيق — بتأثير الخصائص الخاصة بكل مجتمع على البناء الاشتراكي فيه . وعندما تجاهلت بعض الدول هذه الخصائص نار ، وما زال يثور ، نوع من الصراع بين الدول الاشتراكية . وهكذا تفرض « الخصائص » الخاصة بكل مجتمع ذاتها على الاشتراكيين ويقبلونها بالتدرج ، خفية او صراحة . من اين جاءت هذه « الخصائص » ؟ ليس من المنطلقات الاشتراكية فقد بدأت واحدة . وليس من العالم الجغرافية فهي لا تختلف في يوغوسلافيا مثلا عنها في البانيا ، او في البحر عنها في رومانيا ، او في جبال الصين عنها في جبال الاورال . ولكن جاءت نتيجة تراث تاريخي كسب به كل مجتمع خصائصه . فاصبحت تلك الخصائص مميزاتا قوميا له . ولسنا نشك في انه لن يمضي وقت طويل حتى يصبح مسلما بان لكل امة اشتراكيته الخاصة بها ، كنظرية وكثورة وكنظام اجتماعي . حينئذ تكون الخبرة التاريخية في هذه الخصوصية قد اكتملت بالاعتراف بالعلاقة التقدمية بين القومية الاشتراكية بعد ان كانت قد بدأت بافكار الاشتراكيين للقومية .

سؤال ( ٥ )

ان اتخاذ السؤال « كيف احقق لنفسي حياة افضل ماديا ومعنويا » كمدخل للوصول الى الحل الوجودي الاشتراكي يكشف عن منطوق فردي لا يستقيم مع القول بان الوجود القومي « الامة » معطى موضوعي غير متوقف على معرفتنا ، لان هذا الوجود الاجتماعي يعني انسه لا وجود للفرد منعزلا عن مجتمعه بحيث يبدأ مسيرته النضالية من ذاته كما لو كان وحيدا .

جواب ( ٥ )

اعتراض صحيح فيما يتعلق بان لا وجود للفرد منعزلا عن مجتمعه بحيث يبدأ مسيرته النضالية من ذاته كما لو كان وحيدا . ولكن من ناحية اخرى لا يوجد مجتمع غير متكون من افراد . فالفرد جزء متفرد وان كان جزءا من كل يحتويه . وبين الفرد والمجتمع علاقة جدلية فالفرد يؤثر في مجتمعه ويتأثر به ليعود فيؤثر فيه . وعند الحديث عن هذا التأثير المتبادل لا بد من اختيار نقطة بداية . فاما ان نبدأ بالحديث عن المجتمع وتأثيره في الفرد واما ان نبدأ بالفرد وكيف يؤثر في المجتمع . وقد اخترنا ان نبدأ بالفرد اعتقادا منا بان الانتقال من البسيط الى المركب اسهل ادراكا من الانتقال من المركب الى البسيط . فاذا كنا قد قلنا ان البداية هي سؤال كل منسا « كيف احقق لنفسي حياة افضل ماديا ومعنويا » فان هذا لا ينفي ان مضمون الحياة التي يريد ان يغيرها ومضمون الحياة الافضل ماديا او معنويا التي يريد ان يحققها متأثران بمجتمعه . قبل ان يطرح على نفسه السؤال .

سؤال ( ٦ )

اليس قبول تحديد المجتمع على اساس الدولة اكثر واقعية من البحث عما يقال انه « الحقيقة الموضوعية للمجتمع » مع ملاحظة ان اكثر واقعية لا يعني قبول الامر الواقع . او بمعنى اوضح اليس اكثر واقعية ان يناضل الاشتراكيون في كل بلد عربي حتى اذا ما استولوا على السلطة واقاموا الاشتراكية استطاعوا الالتحام فيسي دولة واحدة لانعدام التناقض بينهم . اليس هذا اكثر واقعية من الوحدة بين دول مختلفة النظم الاجتماعية ؟

جواب ( ٦ )

لنبدأ الاجابة من آخر السؤال لنستبعد على الفور تصور ان تقوم الوحدة بين دول مختلفة النظم الاجتماعية . ان هذه الصورة قد تتحقق في النظام الكونفدرالي وهو نظام لا يتفق مع الاسس القومية للوحدة . اما في دولة الوحدة فلا يمكن ان يتواجد نظامان اجتماعيان او اكثر ، مثلها في هذا مثل اية دولة واحدة في العالم . والواقع ان الحديث عن وحدة عربية بين نظم مختلفة حديث فارغ وغير قابل للتحقق ، فالوحدة لا تعني الجمع بين دولتين ونظامين او اكثر في اطار دستوري واحد ، ولكن تعني الفناء الكيان الدستوري لكل من الدولتين لاقامة كيان دستوري جديد يضم الاقليمين او الشعبين . وطبعيا ان هذا لا يتم تلقائيا ولكن بالنشاط الثوري الايجابي الذي اقام دولة الوحدة في مواجهة الدولتين الاقليميتين . هذا النشاط الثوري الايجابي له حتما مضمون اجتماعي ( وهو عندنا اشتراكي ) هو الذي سيكون نظام الدولة الجديدة عندما تنتصر القوى الوحيدة التي تجسده وتقيم دولتها الواحدة . لهذا قلنا دائما ان الوحدة العربية لا تتم من خلال اتفاق بين الدول ولكن تتم من خلال كبح القوى التقدمية المنظمة قوميا ، اي التي تعمل داخل كل الدول العربية بقصد الفناء الوجود المستقل لكل منها لمصلحة دولة الوحدة العربية . ذلك لان اقامة دولة الوحدة يقتضي الفناء الوجود المستقل لدولتين ( او اكثر ) في وقت واحد لاقامة دولة الوحدة بدلا عنها : فكيف يمكن تحضير الاقليمين ( او اكثر ) للوحدة في وقت واحد ومحدد ؟ لا يمكن ان يتم هذا الا

## جواب ( ٧ )

الواقع اننا نرى ان موقف الاشتراكيين غير مبرر علميا . غير مبرر علميا ان نلتزم بالنضال الاشتراكي في « الاقاليم » او « في العالم اجمع » ، ونقفز فوق الوجود القومي مع التسليم بأنه موجود ، اذ لا احد من الاشتراكيين ينكر الوجود القومي ( الامم ) . وقد ذكرنا اسبابا عدة لهذا الموقف منها الجمود العفاني ، ومنها الرجعية العربية التي ترفع شعارات القومية . ولسنا نريد ان نقول ان الارتباطات غير القومية سبب يضاف لاننا لا نريد ان نتهم احسدا بالخيانة بدون ان نكون الادلة الحاسمة على هذه التهمة متاحة . وانما نصيف ما قد يكون سببا مؤثرا وهو ان اغلب القيادات الاشتراكية في الوطن العربي من المثقفين الذين يجزعون من متاعب النضال القومي فيهربون منه اما الى الاقليمية ومتاعب النضال فيها محدودة ، او الى الاممية ومتاعب النضال فيها صورية . ولكننا نعتقد ان الفضل الاقليمي سيكون المدرسة التي تعلمهم - بعد ان يدفعوا ثمن الفضل - انهم لا يستطيعون الافلات من انتمائهم القومي ، وانهم لا يختارون المتاعب على هواهم ، فلا بد لهم من ان يقبلوا مواجهة متاعب النضال التقدمي كمتسا تطرحها الظروف الموضوعية . والظروف الموضوعية في الوطن العربي تطرح متاعب ذات سمات وابعاد وعلاقات قومية امام كل الاشتراكيين سواء ارادوا هذا ام لم يريدوه . ان هذا هو حكم التاريخ الذي صاغنا امة عربية واحدة .

## لماذا تكونت الامم :

## سؤال ( ٨ )

ان سؤالي ذو شقين :

الشق الاول : لقد كانت المجتمعات القبلية في صراع دائم فيما بينها وكانت لكل قبيلة اهداف مختلفة ومتناقضة وربما كان تكوين الامم نتيجة سيطرة مجموعة من القبائل على مجموعة اخرى او غزو احد لشعوب اخرى فكيف يمكن القول اطلاقا بان الوجود القومي كان حلا تقديما بالنسبة الى جميع المجتمعات التي تكونت منها بدون تفرقة بين المجتمعات المسيطرة والمجتمعات المقهورة ؟

الشق الثاني : ان الحديث عن الوجود القومي او الامة ككل ، وتقدمها ككل ، فيه تجاهل لدور الصراع الطبقي كحقيقة محركة للتقدم . والصراع الطبقي يفترض انقسامها طبقيا يستحيل معه الحديث عن المجتمع ككل .

## جواب ( ٨ )

عن الشق الاول : ان الوقائع صحيحة او غير مستبعدة . ففسي المجتمعات السابقة على الطور القومي كان الصراع على اشده ، وكان كل مجتمع يحاول ان يفرض سيطرته على المجتمعات الاخرى . ويمكن ان نستنتج ان المجتمعات الاخرى كانت في اغلب الحالات تقاوم السيطرة المفروضة عليها . ونقول اختصارا للجواب ان كل ذلك هو ما نسميه الاحداث التاريخية التي تكونت الامم خلالها . ثم نصيف هذه النقاط المتتابة . بصرف النظر عن تقديرنا نحن للاهداف التي كانت تحرك الصراع القبلي لا بد ان كل قبيلة كانت تستهدف ، من الصراع هجوما او دفاعا ، حياة افضل لها اي انه كان صراعا اجتماعيا غاية تقدمية من وجهة نظر كل اطرافه . انتهى بسيطرة مجموعة من القبائل او شعب من الشعوب على باقي المجموعات او الشعوب الاخرى ، وكان ذلك حلا تقديما بالنسبة للقوى المسيطرة ، وهو ما لا يمكن زعمه بالنسبة للقوى المغلوبة التي لا شك انها كانت ترفض القهر ولو خفية وتحاول الثورة عليه واستئثاف الصراع متى استطاعت . وقد استطاع كثير من

يعمل موحد طبقا لاستراتيجية واحسدة تحت قيادة واحدة تحرك الجماهير في دولتين ( او اكثر ) لتقيم على انقاضها دولة الوحدة . ذلك هو الاسلوب الواقعي والصحيح . وعلسى ضوته لا يكون اسلوب نضال الاشتراكيين في كل قطر الى ان يستولوا على السلطة ثم يلتحمون في دولة الوحدة اسلوبا واقعا الا اذا كان نضال الاشتراكيين في كل قطر يتم في اطار وحدة تنظيمية تجمعهم وفي نطاق الالتزام بمخطط استراتيجي واحد يستهدف ان تكون غاية النضال الاشتراكي ، ليس الاستيلاء على السلطة في كل قطر على حدة وتطبيق الاشتراكية فيه ، ولكن الغاء الوجود المستقل لكل قطر واقامة دولة الوحدة الاشتراكية . وطبيعي ان الالتزام الاشتراكي بتحقيق الوحدة سيكون ذا اثر ايجابي على تخطيط البناء الاشتراكي المقبل ، لان مصادر الانتساج وادواته وعلاقاته ومشكلات البناء الاشتراكي في دولة الوحدة لن تكون جمعا حسابيا لمصادر الانتاج وادواته وعلاقاته ومشكلات البناء الاشتراكي في الاقاليم ، بل ستكون متميزة نوعيا عنها ، بحيث ان التخطيط الاشتراكي في دولة الوحدة سيكون مفايرا نوعيا لمجموع الخطط الاشتراكية فسي الاقاليم منفصلة .

على ضوء هذا نستطيع ان نرى ان تصور الوحدة بعد نمو البناء الاشتراكي في كل قطر على حدة تصور غير واقعي لاسباب كثيرة منها ما يتصل بضرورة الوحدة ذاتها ، اذ عندما يستقر في اذهان الاشتراكيين والجماهير في كل قطر ان الحياة الاشتراكية الافضل قابلة للتحقق في ظل التجزئة ، فان الوحدة العربية ستفقد المبرر الحياني لها وتكون الدعوة اليها غير واقعية . ومنها ان نمو البناء الاشتراكي على اساس التجزئة سيقدم مجتمعين منفصلين حتى او كانا اشتراكيين . ولما كان البناء الاشتراكي صياغة اجتماعية ايجابية لامكانيات المجتمع وعلاقاته فان تنمية هذه الصياغة على اساس التجزئة سيجعل الحماها اكثر صعوبة لما يقتضيه الانحمام من اعادة الصياغة الاجتماعية الشاملة لامكانيات المجتمع الواحد وعلاقاته . بحيث تصبح الدعوة لاعادة النظر او تعديل او الغاء ما تم بثاؤه في كل من القطرين مهيدا للوحدة بينهما دعوة صعبة القبول . ان كل ما يستطيعه الاشتراكيون الوجوديون هو اسقاط الاستغلال في الاطوار العربية ووضعها على طريق التحول الاشتراكي ونحقيق ما يمكن نحقيقه من المنجزات الاشتراكية ، كل هذا مع مراعاة التزامهم القومي بالا يكون البناء الاشتراكي غيبة فسي سبيل الوحدة . وهذا يقتضي الوعي ، ووعي الجماهير على ان حياة الرخاء والحرية المتكافئة مع امكانيات امتهم العربية لن تتحقق الا في ظل الوحدة . ثم ان يخططوا للبناء الاشتراكي في اي قطر على اساس انه سيكون جزءا من دولة الوحدة الاشتراكية ، واخيرا ان يسرعوا باقامة دولة الوحدة الاشتراكية ليم البناء الاشتراكي منذ البداية على اساسه الصحيح . ان جمهورية المانيا الديمقراطية تفعل هذا فسي يخططها الاشتراكي فتدخل في حساباتها دائما احتمالات عودة الوحدة الالمانية . ذلك هو الاسلوب الواقعي ، وبدونه سيرى الاشتراكيون الاقليميون مسا بنوه منفصلا وقد عدله الاشتراكيون الوجوديون او القوه لحساب اقامة الاشتراكية على اساس قومية ، ذلك لانه اذا كنا لا نقبل الوحدة الرجعية فانا لا نقبل ان ينبع دولة الوحدة بالاشتراكية الاقليمية . ثم ان الواقع دليل الواقعية ، وقد بدا التحول الاشتراكي في اكثر من قطر عربي فهل قربت الوحدة بينها او تاخرت ؟

## سؤال ( ٧ )

لماذا كانت الدراسات القومية في الوطن العربي التي تدور حول فكرة الوجود القومي وعلاقته بالتقدم الاشتراكي غير كافية لاقناع باقي الاشتراكيين ؟ هل لعجز هذه الدراسات عن الاقناع ام لان باقي الاشتراكيين لا يريدون ان يقتنعوا ربما لان لهم ارتباطات غير قومية ؟

ينتمي اليه الرجيمون تحت تأثير عوامل عدة . منها الرغبة في الاستقلال ، اي استقلال قوى المجتمع الذي ينتمون اليه لمصلحتهم الخاصة . ومن هنا لا يمكن ان يقال عن هذه الشريحة المستقلة من الرجعيين انها تمثل المجتمع ككل لانها لا تستهدف تقدم المجتمع ككل ، بل انها مع معرفتها بان مصالحها الخاصة مناقضة للحل التقدمي الذي يجسد مصلحة المجتمع ككل ، تختار مصالحها الخاصة وتقف موقفا عدائيا من المجتمع . غير ان هناك شريحة اخرى تقف موقفا رجعيا ، ضد الحل التقدمي لانها تجهل حقيقة المشكلات الاجتماعية او تأثيرها المتبادل او حلولها العلمية ، فلا تتبنى الحل التقدمي ولا تناضل من اجله وقد توقعه او تقف ضده استجابة لتصوراتها الخاطئة . موضوعيا هي رجعية بصرف النظر عن حقيقة مصالحها التي تجهل علاقتها بالتطور التقدمي وموقفها لا يمثل مصلحة المجتمع ككل بل يمثل مصلحتها هي ذاتها كما تتصورها تصورا خاطئا .

وبين التقدميين والرجعيين ، يستمر الصراع الاجتماعي في شكل قوى منظمة تحاول كل منها ان تحقق اهدافها ، اي يستمر الصراع الطبقي . ومهما تكن اسباب الرجعية فانه لا يمكن الا ان تكون الاهداف التقدمية مجسدة لمصلحة المجتمع ككل في المجتمع المعين والمرحلة التاريخية المحددة التي يدور فيها الصراع . وهي اهداف كسبت سمتها التقدمية من استجابتها للواقع الاجتماعي ككل وليس من هوى اصحابها . وهذا هو الذي يؤمن النصر للتقدميين في نهاية المطاف بالزعم من ضراوة الرجعية ، ومن هنا ثقة التقدميين بالنصر . لكل هذا فانا اذا كنا نستطيع بحق الحديث عن نشاط الرجعية من اجل مصالحها الطبقية ، فانا لا نستطيع ان نقول نفس الشيء عن نقال التقدميين الذين يمثلون - من حيث هم تقدميون - مصلحة المجتمع ككل ، حتى المصلحة الحقيقية للقوى التسلطية ، او تلك القوى التي لا تعرف كيف تحدد موقفها من الصراع الطبقي تحديدا سليما فتنحاز الى الرجعية جريا وراء مكاسب مؤقتة ، او تحت تأثيرات ميتافيزيقية بالرغم من ان مصلحتها الحقيقية في الحل التقدمي الذي تجهله او توقعه او تعاديه.

### سؤال ( ٩ )

ان تفسير « الاممية » بانها انتماء الى مجتمع انساني واحد متوقع بعد آلاف السنين فتفسير غير صحيح ومخالف لمفهوم الاممية التي تعني وحدة الطبقة العاملة في الوقت الحالي وفي المستقبل في مواجهة الامبريالية العالمية . فالى اي حد تكون « الاممية » بهذا المفهوم الصحيح متفقة او مناقضة للدعوة القومية ؟

### جواب ( ٩ )

صحيح ان « الاممية » تعني وحدة الطبقة العاملة في الوقت الحاضر وفي المستقبل في مواجهة الامبريالية العالمية . ولكن هذه مواجهة ذات غاية تتجاوز القضاء على الامبريالية التي اقامة مجتمع انساني موحد . وعلى هذا فان تحليل الموقف الاممي يسفر عن معطيات ثلاثة : الاول انه تحالف بين الطبقات العاملة ضد الامبريالية العالمية المتحالفة . وهذا الموقف مبرر بالدفاع عن النفس لان محركه الخطر المشترك الذي يجسده العدوان الامبريالي ، وهو مقبول بدون حاجة الى مبررات فكرية او فلسفية اخرى . والمعطى الثاني انه تطلع الى بناء مجتمع انساني موحد ، وهذه غاية تبغى عن عصرنا آلاف السنين ، ومع انها اممية انسانية جميلة الا انها لا تصلح محسورا للالتقاء او الالتزام النضالي الذي يستهدف تغيير الواقع الى ما هو افضل منه واكثر تقدما بما يعنيه ذلك من النحام بالواقع ذاته حتى يمكن تغييره . المعطى الثالث الذي لم يشر اليه السؤال مع انه موضوع الحديث ان الاممية مطروحة كموقف مناقض للقومية ، مع ان الوجود القومي واقنع

المجتمعات القبلية ان يثور ويصبح غالبا بعد ان كان مغلوبا . واستغرق ذلك الصراع حقبة تاريخية طويلة سبقت التكوين القومي واسهمت فيه . خلال تلك الحقبة التاريخية الطويلة كان يوجد دائما طرف ثالث يظهر من حين الى حين ويفرض الهدنة والتحالف بين المتصارعين . ذلك هو العدو المشترك في شكل قبائل اخرى او شعب آخر . المهم ان ندرک انه خلال الصراع كان التفاعل الاجتماعي بين المجتمعات المتصارعة لا يتوقف وكانت تنمو بين المجموعات المتصارعة في رقعة جغرافية تتسع وتتقلص وتتعدد رويدا خصائص ومصالح مشتركة تميزها عن مجموعات اخرى . كل هذا والصراع الذي اصبح داخليا يبرز الى الامام كلما غاب الخطر الخارجي . ويصل الامر بعد تراكم الخصائص والمصالح المشتركة الى ان يصبح الصراع داخل الوحدة هو الحل التقدمي الذي يتفق مع اهداف جميع المتصارعين . اي يصبح هدف الصراع دائرا حول كيفية التعايش في اطار وجود مشترك بدلا من كيفية الخروج من هذا الوجود المشترك . وبينما يستمر الصراع على وجه لا يخفي ميرانه القبلي تكون الامة قد بدأت في التكوين ، ويدل على هذا اعادة ارجاء الصراع الداخلي في مواجهة العدو الخارجي الذي يعتبر عندئذ عدوا قوميا ، تواجه الامة التي في طور التكوين بقوى موحدة وقيادة موحدة . وتتلم من النصر الذي تحققه ان وحدتها القومية كانت حلا لمشكلة الامن التي يعجز عنها كل جزء منفردا . وفي ظل هذا الامن يقدم لها الوجود القومي افضل الامكانيات لتحقيق الحياة الافضل اجتماعيا ، وتقدم لها الارض المشتركة المادة الموحدة التي تشكل منها حياتها . كل هذا مع استمرار الصراع الاجتماعي ، ليس بين القبائل في هذا الطور ، ولكن بين القوى ذات الاهداف الاجتماعية المختلفة والمناقضة ، وان كانت كل منها تعتبر ان اهدافها تمثل الحياة الافضل بالنسبة الى الامة ككل . .

من هذا ندرک الحقيقة الكامنة وراء التكوين القومي وهي عجز المجتمعات السابقة عليه عن حل مشكلاتها منفردة بصرف النظر عن اسباب هذا العجز التي لا بد ان تختلف من جماعة الى جماعة . ان مجرد كون التكوين القومي يتضمن مقدره فرضت ذاتها كبديل عن هذا العجز يعني انها طور اكثر تقدما من الطور السابق عليها .

الشق الثاني : لعل الاجابة عن الشق الاول ان تكون قد اوضحت ان الوجود القومي لا ينفي الصراع الاجتماعي داخل الامة . هذا الصراع الاجتماعي حقيقة غير متكورة وهو ما يسمى ايضا بالصراع الطبقي . ولسنا نرى ان في الحديث عن الامة ككل ، وتقدم الامة ككل تجاهلا للصراع الطبقي . لاننا نطلق في موضوع الصراع الاجتماعي او الصراع الطبقي من مسلحة اولى نستطيع ان نوصفها كما يلي : ان الوحدة الموضوعية والتاثير المتبادل للمشكلات في اي مجتمع تعني ان الحل التقدمي لهذه المشكلات جميعا ، في زمان محدد ، في مجتمع محدد ، حل واحد محدد موضوعيا بصرف النظر عن مدى صحة معرفة الناس به . وينقسم الناس عادة قسمين كبيرين في موقفهم من هذا الحل الموضوعي . قسم يتبنى ويناضل من اجل تحقيق هذا الحل التقدمي الذي يكون قد عرفه من خلال ادراكه الصحيح للمشكلات الاجتماعية وتأثيرها المتبادل وحلولها العلمية . اولئك هم التقدميون ، الذي وان كانوا قسما من المجتمع الا انهم يمثلون مصلحة المجتمع ككل . اما كيف ادركوا ادراكا صحيحا للمشكلات الاجتماعية وتأثيرها المتبادل وحلولها العلمية فذلك امر قد تختلف الطرق اليه من اول البحث العلمي التي آخر تجربة الحياة وممارستها . وان كانت تجربة الحياة وممارستها تكون المدخل العريض لهذه المعرفة حيث يعي الذين يعانون مشكلات الحياة ضرورة التمييز الاجتماعي حتى تحل مشكلاتهم ، ويكون ذلك حافزا لهم على البحث عن حلول تقدمية لمشكلاتهم ، ذلك البحث الذي يكتمل لهم من خلاله عنصر المعرفة بمصالحهم المشتركة في التقدم وضرورة النضال الاجتماعي من اجل تحقيقه . في مواجهة هذه القوى التقدمية التي تتحول بالنضال في نضال منظم الى طبقة تقوم القوى الرجعية التي تلتمح لحماية مواقعها لتكون طبقة ايضا . والرجعية قسم من المجتمع

معترف به ، والرابطة القومية حقيقة تشد الناس ولا يمكن تجاهلها .  
والأمية هنا « مثالية » من حيث انها تتجاهل الواقع الموضوعي وتحاول  
ان تصوغ علاقات نفسالية تفترق من فوقه ، ولا شك في ان الزعم بان  
مصالح الطبقة العاملة في العالم كله واحدة زعم غير صحيح . انسه  
يفترض المساواة بين الامم من حيث التحرر والتقدم الاقتصادي . وهذه  
فرضية غير صحيحة . ان العاملين في كل الامم يكافحون ضد الطبقات  
المستغلة بقصد استرداد مصادر الانتاج وادواته من ايديهم وتحويلها الى  
ملكية اجتماعية يكون لكل عامل فيها نصيب متكافئ مع ما يعمل . ولكن  
وراء هذا حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها ، هي ان مصادر الانتاج  
وادواته وكل الثروات التي يراد اعادة توزيعها توزيعا عادلا في بعض  
الامم المتقدمة هي في الاصل ثروة مفتنصة بالاستعمار من امم اخرى .  
ان هذا هو البرر الرئيسي لما نلاحظه من ان المستوى المعيشي الذي  
ينور العمال في احدى الدول لانه اقل مما يستحقون ، هو ذاته يتجاوز  
بمراحل احلام العاملين في امم اخرى . تلك هي الحقيقة التي افزمت  
« جيفارا » فثار ثورته العميقة ضد استغلال « المجتمعات المتقدمة »  
للمجتمعات المتخلفة بدون تفرقة بين اشتراكيين وغير اشتراكيين . ان  
هذا يعني فيما يهمن ان التراث التاريخي الذي جعل مصلحة العاملين  
في كل امة محددة بمشكلات التقدم كما تطرحها ظروف الامة التي  
ينتمون اليها وليس بالمستوى العالمي لمعيشة العاملين ، يحول دون الادعاء  
بوحدة المصلحة بين العمال في جميع انحاء الارض الى درجة تجعل من  
الانتماء الى « العمل » بديلا عن الانتماء الى الامة . غير ان هذا ذاته  
لا يعني ان ليس بين العاملين في كل الامم مصلحة مشتركة كذلك التي  
اشرنا اليها وهي اسقاط الامبريالية المالية المتخالفة . ان تلك مصلحة  
تفرض عليهم ان يتحالفوا ضد عدوهم المشترك . كما ان للعاملين في  
بعض الامم مصالح مشتركة قد لا تكون عالية ، كمصلحة العاملين في  
المجتمعات المستعمرة في ان تتحرر مجتمعاتهم . وهكذا نرى انه انطلاقا  
من ان القومية هي الرابطة الاصل ، يخوض العاملون التقدميون في كل  
امة معاركهم الداخلية ضد الاستغلال ، ويشاركون مع العاملين في امم  
اخرى معاركهم ضد العدو الامبريالي المشترك دون ان يفقد اي منهم  
هويته القومية .

## النظرة القومية :

### سؤال ( ١٠ )

١ - اذا كانت الاقليمية رجعية فاشلة كما سمعنا فكيف يمكن  
تفسير الانجازات التحررية التي حققتها الدول العربية المتحررة بالرغم  
من انها اقليمية ؟  
ب - وما الرأي في فشل دولة الوحدة التي قامت في سنة ١٩٥٨  
حتى في المحافظة على وجودها ؟

### جواب ( ١٠ )

#### ١ - عن التحرر :

ان القاعدة التي ذكرناها هي ان فشل الاقليمية لا يعني ان كل  
دولة اقليمية عاجزة تماما عن ان تحقق نجاحات محدودة بما تستطيع  
ولكن يعني تماما ان ما تحققة اقل بكثير مما كان يتحقق للشعب فيها  
في ظل دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية حيث يكون مدى التقدم  
ومعدله متكافئين لا مع مقدراتها الذاتية ولكن مع الامكانيات العربية  
المتاحة وهي بالغة الوفرة .

ومع ذلك فلننظر الى المنجزات التي حققتها بعض الدول العربية  
وعلى المستوى الذي يختاره الاقليميون عادة للجمعية ، وهو مستوى  
التحرر ، الذي يظنون ان قد وصلوا اليه في ظل الاقليمية بجلاء  
الجيش المحتلة . انا نخطيء خطأ ساذجا اذا اعتقدنا ان جلاء الجيوش  
الاجنبية او اجلاءها يعني التحرر تلقائيا . ان عصر الاستعمار بالبطش

الظاهر ينحصر عالميا ، وتسحب الدول الاستعمارية قواتها من مناطق  
عديدة ليجرد توفير نفقاتها . وهي لا تفعل هذا متخيلة عن مصالحها  
ولكن حافظة لتلك المصالح باساليب اخرى اقل تكلفة واستنزافا من  
الجيوش المقاتلة . ولا شك في ان بعض الدول العربية قد استفادت من  
ذلك التحول التاريخي فجلت عنها الجيوش ، واتاحت لها الفرصة  
لرفع اعلام الاستقلال ودق طبوله والحصول على مقعد مريح في هيئة  
الامم المتحدة . غير ان التجربة لم تثبت ان اثبت لنا ان الاستعمار  
الجديد ، الخفي ، الاقتصادي والثقافي ، ليس اقل ضراوة وتخريبا من  
الاستعمار المسلح السافر . ذلك لان التحرر من الاستعمار ليس منتهى  
غايات الشعوب بل هو بدايتها . فبرفع السيطرة الاجنبية عن الوطن  
وامكانياته المادية والبشرية ، يبدأ المستقلون في تحمل مسؤوليه ببناء  
الحياة التقدمية الافضل التي هي المعادل الحقيقي لتضحيات معارك  
التحرير . ولن يتحقق لهم هذا الا بامور ثلاثة : اولها - الامن ، اي  
حشد كل الامكانيات والجهود والقوى وتخطيط استخدامها من اجل بناء  
حياة افضل للجماهير التي قاست طويلا في ظل الاحتلال الاجنبي ،  
بدون خوف من عودة السيطرة الاجنبية ، او بدون حاجة الى اقتطاع  
نسبة عالية من الامكانيات المحدودة لرد ، او ردع ، محاولات احتلال  
اخرى . ولا تريد ان تشير الى امثلة متعددة بل يكفي ان نقول ان اكثر  
الدول العربية جديفة في رغبة التقدم الاقتصادي لم تترك سنة واحدة  
متصلة بدون تهديدات ، او اغارات ، او حصار ، او حرب ، وان قدرنا  
متفوقا من طاقاتها كان وما يزال مسخرا من اجل دفع او رد محاولات  
الاعتداء على استقلالها بالرغم من انها كسبت معركة الجلاء . معركة  
التحرر اذن لم تنته لان الامن الكافي للتفرغ لبناء الحياة الحرة لم  
يتحقق . وانها لماسة حقا ان تكون حياة الجماهير تضحيات متصلة بلا  
نهاية معروفة ، تضحي من اجل الاستقلال ثم تستمر في التضحية في  
معارك الحفاظ على الاستقلال بدون انقطاع يسمح لها بان تجنى ثمار  
هذا الاستقلال . ان هذا الامن اللازم لبناء الحياة غير قابل للتتحقق الا  
في داخل الوحدة العربية القادرة على تصفية العدوان مرة واحدة والى  
الابد ، وفرض احترام حريتها على كل مفامر ، وتجنب احتياطي للدفاع  
يكفي للردع ولا يؤثر على المقدرة على الانتاج ، ثم التفرغ بالقدر الاكبر  
من امكانياتها لعملية بناء الحياة الافضل . اي ان الاقليمية التي قد  
تستطيع ان تكسب معركة جلاء الجيوش الاجنبية عن ارضها تجد نفسها  
فاشلة في وضع حد نهائي لمحاولات العدوان وتوفير الامن اللازم لتفرغها  
لبناء الحياة . فهي - في جملة قصيرة - عاجزة عن النصر النهائي في  
معركة التحرر . الامر الثاني - الذي لا يتم النصر في معركة التحرر  
بدونه هو هزيمة وتصفية الاستعمار الجديد . وجوهر الاستعمار الجديد  
هو التبعية الاقتصادية للدولة المسطرة . ان الدول العربية تنتمي الى  
العالم الثالث . فهي دول متخلفة اقتصاديا او نامية . وهي في حاجة  
ملحة الى ان تضاعف مقدراتها الانتاجية بمعدل من السرعة يعوض سنوات  
التخلف . وفي هذا تحتاج - بالإضافة الى الجديفة في العمل - الى  
اكبر قدر من معدات وخبرات الدول المتقدمة . وهي اما ان تكون قادرة  
على دفع ثمنها الاحتكاري الفادح لكي تحصل عليها بدون شروط او  
تعبية ، واما ان تدفع من ثمنها ما تستطيع ثم توفي باقي الثمن قسولا  
لشروط صريحة او ضمنية ، معلنة او خفية ، تضعها موضع التابع  
للدولة السانعة المعدات الشاربة الحربية . وتلك هي النافذة التي يعود  
منها الاستعمار الجديد بعد ان كانت جيوش الاستعمار القديم قد غادرت  
من ابواب الوائء . ولقد وقعت بعض البلاد العربية - الخاملة من  
الجيوش الاجنبية - في براثن الاستعمار الجديد ، وباعت الاستقلال  
الذي دفعت ثمنه من دماء الشهداء بالارتباطات المالية والاقتصادية التي  
فرصتها عليها الدول الاستعمارية . فهل تحررت ام خانت الحرية ؟ لم  
تتحرر ولم تخن بل فشلت في تحقيق النصر النهائي في معركة التحرر .  
ولن تستطيع ان تحققة الا في ظل دولة الوحدة ، القادرة بمواردها  
الوفيرة على ان تشتري من المعدات والخبرات ما تحتاجه للتقدم

كل هذا صحيح . انما الخطأ الجسيم ان كان بحسن نية ، او التخريب الجرم ان كان متعمداً ، هو القول بأنه ما دامت الجماهير العربية فسدت انهزمت في سنة ١٩٦١ فان وحدتها سنة ١٩٥٨ كانت خاطئة : ان هذا حكم ببراءة القوى الامبريالية والصهيونية والانفصالية العميلة من جريمة التآمر والعدوان على الامة العربية . وهي دعوة انهزامية السي التنازل عن اهدافنا حتى لا نهزم . وفياساً عليه يصح قول الانهزاميين والخونة من انه ما دمنا قد انهزمنا ثلاث مرات من اسرائيل فان رفضنا الوجود الاسرائيلي خاطيء . لقد تردت مجموعات من اكثر المتففين العرب ادعاء للعلمية وللتحريرية وللتقدمية ، بل وللقومية ايضا ، في هذا الخطأ الجسيم يوم ان راحت بعد الانفصال تحاكم وتدين وحده ١٩٥٨ بدلا من ادانة الامبريالية والصهيونية . ان هذا الموقف الخاطيء خطأ جسيم قابل للتكرار في كل جولة لا نتصر فيها من معاركنا الطويلة ، ولن تكون كل جولات معاركنا انتصارا وان كان حتما علينا ان نتصر في النهاية .

في اطار هذا الادراك لمعركة وحدة ١٩٥٨ ، التي حققت فيها الامة العربية اروع انتصار في تاريخها المعاصر ، ومثيت فيها ايضا بافسدح هزيمة ، لا نكر بان وقوع الانفصال واستمراره دليل غير قابل للنقض على ان القوى التي صدت لحمل مسؤولية الدفاع عن وجود دولة الوحدة قد فشلت في الوفاء بمسؤولياتها . ولقد قيلت عشرات التبريرات لذلك الفشل منها ما وصل الى حد المهارات الرخيصة . ونحن لا نعيدها ولا نرد عليها . انما نقصر الحديث على ثلاثة اسباب اساسية نعتقد انها مجتمعة قد كانت وراء الفشل في الحفاظ على دولة الوحدة من حيث انها سهلت للقوى المعادية انجاز غايتها المجرمة :

الاول : ان وحدة سنة ١٩٥٨ قامت واستمرت حتى انقضت وحدة « انفصالية » ، اي معدة وجاهزة موضوعيا للانفصال . ففسد تمت وحدة الرئاسة ، ووحدة الحكومة ، ووحدة مجلس الامة ، اي تناولت الوحدة الاطار السياسي ، ثم بقي الاقليمان منفصلين جماهيريًا ( في كل منها تنظيم سياسي مستقل ونظمات مهنية ونقابية مستقلة ) واقتصاديا ( لكل منهما مصادر انتاج مستقلة ، وخطة اقتصادية مستقلة ، وذمة مالية مستقلة ، ونقد مستقل ، وميزان تجاري مستقل ، وميزان مدفوعات مستقل ، ومخصصات للخدمات مستقلة ، وجهاز اداري مستقل ) وعسكريا ( لكل منهما جيش مستقل من ابناؤه خاصة ) ودوليا ( لكل منهما علاقات ، وانفاقات ، تجارية خارجية مستقلة ) . الخ . لقد قيل فيل الوحدة واثناها ، وبعد الانفصال ، ان القوى الوحديية قد استعجلت الامور وفقرت الى طموح غير واقعي لانها اختارت الوحدة . وان الاتحاد كان افضل من الوحدة . قال هذا نفس اولئك الذين عرفنا من قيل انهم اكثر الناس ادعاء للعلمية وللتقدمية وللقومية ايضا . وفي العراق اربقت الدماء في معارك بين انصار « الوحدة » ودعابة « الاتحاد » وكانت « وحدة » ١٩٥٨ نموذج القياس في اذهان الطرفين . وقد تجاهل دعاة الاتحاد ، الرافضون لوحدة ١٩٥٨ بحجة انها النحام كامل لا تطبيقه الظروف الاقليمية ، ان وحدة ١٩٥٨ لم تكن « وحدة » ولا كانت « اتحاداً » . كانت شيئاً يشبهه - وان كان افضل النحاما - الاتحاد الكونفدرالي . كانت اشتراكا في حكومة مختلطة بين دولتين مستقلتين جماهيريًا واقتصاديا وماليا وتجاريا وعسكريا . ولم يكن ذلك الوضع قابلا للحياة طويلا فاما وحدة حقيقية واما انفصال . وبينهما قنعت القوى المسؤولة عن الحفاظ على الوحدة بالخطوة الشكلية التي تحققت ولم تنشط في تصفية آثار التجزئة ومسلء الاطار السياسي الموحد بهحتوى اقتصادي واجتماعي وعسكري واحد ، نشطت القسوى الامبريالية والصهيونية وعملاؤها الانفصاليون للفضاء على الوحدة وهي في اضعف اشكالها . وهكذا لم يتطلب انفصال اقليم من دولة اكثر من بيان في الاذاعة ، وهو ما لا يمثل له في التاريخ . ولم يواجه الانفصاليون اية متاعب ، من اي نوع ، فمجرد اعلان الانفصال وجدوا بين ايديهم دولة مجهزة ومعدة للانفصال .

الاقتصادي ، بشمه الفادح ، بدون ان ينبع حريتها . وعندما نرى مستوى الحياة في كثير من البلاد العربية التي جلت عنها الجيوش الاجنبية مترديا ، او متوقفا ، او يحبو مثقلا بالديون والالتزامات الخارجية ، فيجب ان ندرك ان الاقليمية التي قد تقدم حوبا ، فاشلة في التقدم وثبا ، لان التقدم وثبا لا يتحقق لها الا بالامكانيات العربية التي ترفع عنها انعالها ، ثم يكفي ، واكثر ، للتنمية الاقتصادية في الوطن العربي كله ، بعيدا عن شرك الاستعمار الجديد الذي يختفي وراء الاموال ، والمعدات ، والخبرات ، والمعونات . الامر الثالث - الذي لا يتكتمل النصر في معركة التحرر الا به هو ان تشعر الجماهير التي اذلهما الاستعمار ستين طويلة بان قيودها قد تحطمت يوم ان استقلت، وانها تعيش في بلادها المتحررة حياة حرة لا ذل فيها ولا خوف ولا قهر ولا استبداد . فهل تحطمت قيود الجماهير العربية بعد الجلاء ورفع اعلام الاستقلال ودق طبوله ؟ - ان الرجعية لا تزال تفرض عليها القهر الاقتصادي وتذللها قبل ان تسمح لها بالحصول على لقمة العيش التي تحفظ الحياة من الموت . وتقبض على الناس من امعائهم حتى يركعوا لها او يسجدوا او يموتوا جوعا . ولجماهير العربية تتفرج على نظم اليهودية والافطاع في القرن العشرين ، ويحتمي الظالمون من غضبها ، وثورها ، وراء حق الدول المستقلة في التدخل احد في شؤونها الداخلية ، والتزم الدول « المستقلة » بالادخل في شؤون غيرها . ثم ما بين وعود العربة والرخاء والتقدم بمثل للجماهير يرعونة غير معقولة ، وبين عجز الدول الاقليمية فعليا عن تقديم امكانيات تحقيق الوعود المبذولة ، انزلت بعض الحكومات العربية السي الدكتاتورية المستبدة تفرض بها على الجماهير الصمت والصبر والمذلة لتفسي فشلها الذي لا مفر منه ما دامت تعد بما هي غير فادرة على تحقيقه في ظل الاقليمية . فهل كسبت الجماهير النصر النهائي في معركة التحرر ؟ انها لن تكسبه الا في دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية التي ان بعد فهي فادرة على الوفاء بوعدها فهي لا نخشى الجماهير وفي غير حاجة الى ان تفرض عليها الصمت والصبر والمذلة .

ثم ، أخي ، اليس من المفالطة ان نتحدث عن الانجازات التحريرية في ظل الاحتلال الصهيوني ؟

ب - عن وحدة ١٩٥٨ :

بقي الجانب الاستفزازي من السؤال الذي يقول : « ما الرأي في فشل دولة الوحدة التي قامت سنة ١٩٥٨ حتى في المحافظة على وجودها » . ومصدر الاستفزاز فيه انه بوحى بان الوحدة التي قامت بين سورية ومصر سنة ١٩٥٨ قد فشلت في كل مجال « حتى » في المحافظة على وجودها . ولسنا نريد ان نستجيب للاستفزاز فنعدد مكاسب الشعب العربي في ظل ثلاث سنوات من الوحدة . بل نتجاوزة الى الجانب البناء من السؤال وهو الخاص بالفشل في المحافظة على وجود دولة الوحدة . ذلك لان وحدة ١٩٥٨ لم ينصفها كثير من اصداقها وكل اعدائها .

لقد قامت دولة الوحدة سنة ١٩٥٨ بين مصر وسورية تجسيدا لرغبة شعبية عربية عارمة لا شك فيها . ثم وقع الانفصال سنة ١٩٦١ بدعم وتأييد ونخطيط القوى الاستعمارية والصهيونية . لم يعد هذا محل شك ايضا خاصة بعد ان انكشفت كثير من المخططات العدوانية التي مهدت لحرب ١٩٦٧ . ولم يعد اعداؤنا انفسهم ينكرون انهم بدأوا الاعداد للحرب والتدريب على خطتها منذ ان قامت الوحدة ، وان الانفصال كان الخطوة الاولى في تنفيذ تلك المخططات . وهذا بشرطه يدل على ان الوحدة كانت خطوة تقديمية مستجيبة لامال الجماهير العربية من ناحية ومضادة للمصالح الاستعمارية والصهيونية من ناحية اخرى . اي انها بمقياس تحرري تقدمي كانت خطوة الى الامام . وان الانفصال كان ردة رجعية . ان هذا لا ينفي انسه اذا كانت الجماهير العربية قد انتصرت في سنة ١٩٥٨ فقامت دولة الوحدة ، فان هذه الجماهير ذاتها قد انهزمت في سنة ١٩٦١ ففقدت الوحدة الوليدة .

## حقيقة الموقف :

سؤال ( ١١ )

تقول ان الغزو الصهيوني قد وقع بتأييد من الامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، اليس اكثر مطابقة للحقيقة ان نقول ان هناك غزوا امبرياليا للوطن العربي يستعمل الصهاينة اداة له في تحقيق اغراضه على اساس ان اسرائيل ليست الا اداة تابعة ، وقاعدة ، للامبريالية . اني ارى ان هذا التحديد يساعدنا على فهم عدونا الاساسي في معركة تحرير فلسطين .

جواب ( ١١ )

ان اسرائيل ، والحركة الصهيونية ، حليفة الامبريالية العالمية وليست اداة لها . ان كلا منهما ذو استقلال فكري ونظيمي وحركي ، ولكل منهما استراتيجيته الخاصة . الحركة الصهيونية حركة عنصريه رجعية نشأت في وسط اوربا ، ثم تحالفت مع الاستعمار البريطاني ، ثم نقلت تحالفها الى الولايات المتحدة الامريكية ، تبعا لانتقال مركز القوة الدولي ، بقصد تحقيق غايتها الخاصة وهي اقامة دولة يهودية من الفرات الى النيل . فهي حركة غزو استيطاني تستهدف ارضا محددة . اما الامبريالية العالمية فهي تحالف رأسمالي تفوده الولايات المتحدة الامريكية حاليا غايته فرض سيطرته المالية والاقتصادية على امكانيات العالم ونهب ثروات الامم ، او تسخيرها لما يتفق مع تحقيق مزيد من الرخاء والقوة في الدول الاستعمارية . وبالرغم من الاختلاف فسي مضمون العدوان ، ومدى شمول الاستراتيجية العدوانية ، في كل من الحركة الصهيونية والامبريالية العالمية ، الا انها حليفتان متفقتان فيما يتعلق بالوطن العربي على وجه التحديد . الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية تستهدف ابقاء العالم العربي في حالة تخلف وتبعية اقتصادية فتحول بكل قوة دون وحدته . ويحقق لها هذا ويضمنه عزل المشرق العربي عن المغرب العربي بكيان غير عربي . والصهيونية تستهدف اقامة الدولة اليهودية في ذات المكان الذي يعزل المشرق العربي عن المغرب العربي ويجعل وحدته اكثر صعوبة . فمسع اختلاف المبررات اصبح الوجود الاسرائيلي في قلب الوطن العربي يحقق لكل من العدوين غاياته عنحالفا . والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية تستهدف استنزاف الامكانيات العربية فسي حروب دفاعية والاعداد العسكري لها وهو اقتطاع مسن قواها المنتجة لتبقى متخلفة - بينما تدبر الصهيونية منذ عشرات السنين الحروب العدوانية ضد الامة العربية لتستولي على الارض التي تريد ان تقيم عليها الدولة اليهودية . فمع اختلاف المبررات اصبح العدوان الاسرائيلي المتجدد على الامة العربية يحقق لكل من العدوين غاياته فتحالفا . والتحالف يعني التعاون وتبادل الخدمات في اطار الاهداف المشتركة . ان هذا قد يبدو غير ذي قيمة عملية ما دمنا نواجه الامبريالية والصهيونية معا . ولكننا نعتقد انه ذو قيم عملية خطيرة . اولها ان الاعتقاد بان الصهيونية اداة الامبريالية قد يؤدي الى الاعتقاد الخاطيء بان مساومة الولايات المتحدة الامريكية سيؤدي الى ان تسحب قاعدتها الصهيونية من فلسطين وتكف عنا اداتها اسرائيل . وهو وهم عشنا فيه ردحا من الزمان يوم ان كنا نفاوض انجلترا لتكف عنا الحركة الصهيونية ظنا بانها اداتها . ثم ان هذا الاعتقاد قد يؤدي الى تغطية الاغتصاب الصهيوني للارض العربية لو انقطعت صلة اسرائيل الدولة بالولايات المتحدة الامريكية عن طريق تولي الاتجاهات التي يقال لها يسارية سلطة الحكم في اسرائيل . وهو وهم يداعب خيال كثير ممن يسمون انفسهم تقدميين في الوطن العربي او خارج الوطن العربي . ومهما تكن ضالة فرصة تولي بعض العناصر من ادعياء التقدمية في اسرائيل للحكم ، فان موقفنا يجب ان يكون محمدا من الان باننا لا نقبل اقتطاع جزء من وطننا العربي ولو سكتته الملائكة . ان رفضنا للوجود الاسرائيلي قائم على حقنا في فلسطين ولا يتأثر حقنا

لماذا ؟ لان الافليمية الخائفة على مصالحها الخاصة ، الداعية الى الوحدة كطريق الى مكاسب جديدة نضاف الى مكاسبها في افليمها ، ادعت لوحدتها الاطار السياسي ولكنها حالت دون الانتقام الجماهيري والاقتصادي والعسكري حتى لا تفقد مواقعها القيادية او مصالحها السياسية او سيطرتها العسكرية . فهل فشلت دولة الوحدة ام خربتها الافليمية ؟

الثاني : ان وحدة ١٩٥٨ لم تكن تجسد آمال الجماهير العربية ، وشكل خطوة تقدمية لمجرد انها وحدة بين مصر وسورية ، بل لانها دولة الوحدة النواة ، التي قامت على انقاض دولتي مصر وسورية . ودولة الوحدة « النواة » لا تتميز بعدد الافاليم التي تقوم عليها ، ولكن بانها قاعدة الثوريين العرب ومنطلقهم الى تصفية الافليمية واقامة دولة الوحدة العربية الشاملة . وهي لا تكون كذلك الا برفض التجزئة وعدم التردد ، او التوقف عن استرداد مزيد من الارض العربية الى ان تنمو الدولة النواة وتصبح دولة الوحدة . فان توفقت وارتضت حدودها الجديدة فقد انقلبت الى دولة افليمية وان كانت قائمة على رفعة اوسع من ذي قبل من الوطن العربي ، وان كانت تضم قطرين او اكثر - وقد نوقفت وحدة ١٩٥٨ عند حدود الافاليمين ، او نقول تجمدت ، فتحولت الى دولة افليمية كبيرة . ولا كانت الافليمية فاشلة ولو تجسدت في دولة كبيرة فقد فشلت في الحفاظ على وجودها .

من الذي فشل ؟ ليس دولة الوحدة العربية النواة التي هتفت لها الجماهير العربية سنة ١٩٥٨ ، بل الدولة الافليمية التي كانت قائمة على افليمي سورية ومصر سنة ١٩٦١ . اما لماذا فشلت ، اي لماذا انقلبت دولة افليمية ، فلان القوى الافليمية الخائفة على مصالحها الخاصة ، التي تدعو الى الوحدة من منطلق افليمي باعتبار ان فد تحمل اليها الوحدة مجالات اكثر اتساعا للاستغلال كانت حريصة فسي تجربتها الوحودية الاولى على ان تنتظر حتى تستوثق مما اذا كانت التجربة قد حققت لها مكاسب تفري بمزيد من الوحدة ، او لم يحقق .

الثالث : هو ان وحدة ١٩٥٨ قامت بتأييد عارم لا شك فيه من جانب الجماهير العربية في كافة أنحاء الوطن العربي ولكن في غيبة التنظيم القومي الثوري الذي يضع طلائع تلك الجماهير ، ويقودها ، فيحقق الوحدة بقونها على وجه يجسد قوميتها شكلا ومضمونا ، ويبقى على الوحدة نواة لدولة الوحدة الاشتراكية الديمقراطية التي تستهدفها ، ويدافع عن الوحدة حتى الموت كما يدافع الشوار عن قواعدهم .

ان هذا السبب اولى بانتباه الشباب العربي لانه كامن وراء السببين الاولين وان كان اكثر منهما شمولا . اما انه كامن وراء السببين الاولين فذلك لان وجود التنظيم القومي الثوري كان كفيلا بسحق الافليمية التي اُبقت وحدة ١٩٥٨ معدة للانفصال حتى انفصلت وحولت دولة الوحدة النواة الى دولة افليمية فشلت . اما انه اكثر منهما شمولا فذلك لانه كامن وراء كل الهزائم التي اصابت الامة العربية حتى هزيمة ١٩٦٧ ، وسيكون كامن وراء أية هزيمة نصيب الامة العربية حتى في ساحة « المقاومة » . الى ان يقوم التنظيم القومي الثوري ويتولى مسؤوليه قيادة الجماهير العربية ضد اعدائها ، في كل الساحات ، على الطريق الى دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية .

لا شك في هذا ابدا .

ومن هنا ندرك انه حتى لو لم تكن المقاومة الا افضل المداخل المتاحة لبناء التنظيم القومي ، وحتى لو لم يستطع ابطال المقاومة الا ان يساهموا ، ويسهلوا ، مولد التنظيم القومي ، فقد حققت المقاومة وحققت ابطال المقاومة الشيء الجوهرى الذي نفتقده امتهم العربية ، ووضعوا قدمها على اول طريق النصر ، وانطفأوا بالتاريخ العربي انعطافة جديدة ظافرة لا شك في انها ستؤثر تأثيرا عميقا في اتجاه التاريخ البشري المعاصر .

هذا بنوع النظام الاجتماعي في مجتمع الفاصيين ولا بسياساتهم الداخلية او الدولية . ناني اوجه الخطورة في تجاهل الاستقلال داخل التحالف الامبريالي الصهيوني ان الاعتقاد المضاد بان الامبريالية اداة مسخرة للصهيونية يخفي عنا الدور الايجابي ، ذي الفايات البعيدة ، للدوان الامبريالي الذي يتم - مرحليا - فسي اطار تحالفها مع الصهيونية . ثم انه يؤدي الى نتيجة مفزعة هي الاعتقاد بان هزيمة الصهيونية وتحرير فلسطين سيكون نهاية ماركنا ضد الامبريالية باعتبار ان الامبريالية لم تدخل المعركة ضدنا الا كاداة للصهيونية . وهذا وهم ضيق الافق ، ان ماركنا ضد الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ستستمر وستكون اكثر ضراوة عندما نواجهها مباشرة بعد ان نكون قد صفيينا الوجود الاسرائيلي في فلسطين .

لهذا ، فنحن امام عدوين متحالفين ، ولسنا امام عدو واحد يتخذ من الاخر مجرد اداة له غير ذات اغراض عدوانية خاصة .

سؤال ( ١٢ )

ما المقصود على وجه التحديد من القول بسان الفوز الصهيوني موجه الى الوطن العربي بدلا من القول بأنه موجه ضد الدول العربية عامة ، او بمعنى اصح ضد الدول العربية التقدمية .

جواب ( ١٢ )

المقصود الكشف عن حقيقة هي ان الفوز الصهيوني موجه الى الوطن العربي وليس الى الدول العربية او اي دولة عربية بالذات . اذ الواقع انه عندما رسم الصهاينة حدود الارض التي يريدون غزوها والاستيطان فيها واقامة الدولة اليهودية عليها لم تكن هناك اية دولة عربية فقد كان الوطن العربي كله تحت السيطرة التركية . ثم انه لما ان خطط الاستعمار الغربي حدود الدول العربية القائمة حاليا ، لم تغير الصهيونية مخططاتها مراعاة لاية دولة ناشئة . اما عن استهدافها الدول العربية المسماة تقدمية فانه غير صحيح ايضا . فان الصهيونية غزت الارض العربية في ظل الاحتلال البريطاني ، وتوسعت سنة ١٩٤٨ بينما كانت الدول العربية تابعة للاستعمار تحكها الرجعية ، واستولت على خليج العقبة سنة ١٩٥٦ في معركة مع مصر المتحررة التي لم تتحول اشتراكيا ، ثم اضافت ارضا جديدة سنة ١٩٦٧ مقتطعة من ثلاث دول مختلفة من حيث نظام الحكم او النظام الاجتماعي . ذلك هو المخطط الصهيوني التوسعي .

وهذا لا ينفي انه عندما وجهت الصهيونية ضربتها الاولى الى الامة العربية كانت الضربة غزوا لبعض ارض فلسطين ، وانها كلما توسعت اصابت ضرباتها دولة او اكثر من الدول العربية ، لان الواقع الفعلي ان الوطن العربي الذي تحاول الصهيونية الاستيلاء على جزء منه مقسم بين الدول العربية . كما لا ينفي ايضا ان الصهيونية عندما توّقت وتختار معاركها التوسعية المرحلية تستهدف تحقيق امرين معا . الامر الاول الاستيلاء على مزيد من الارض . الامر الثاني ضرب اية قوة او اي اتجاه نام قويا او تقدما قبل ان تكتمل له القدرة على حماية نفسه ضد مراحل التوسع المقبلة او قبل ان تكتمل له القدرة على توجيه ضربة مضادة . ولا شك في ان الاتجاهات التقدمية القومية في بعض البلاد العربية تمثل خطرا مقبلا على مخطط التوسع الصهيوني . كما لا شك في ان دخول الجماهير العربية غير المنتمية سياسيا الى اية دولة عربية يمثل انجاءها بالغ الخطورة على الوجود الاسرائيلي ذاته . ومن هنا كانت الضربات الاسرائيلية توجه الى هذه القوى النامية لتأمين مقدر اسرائيل على مزيد من التوسع . ويمكننا ان نضيف الى هذا عاملا لا شك في اهميته ، وهو انه انطلاقا من معرفة الحركة الصهيونية انها كانت دائما ، وما تزال ، وستظل عاجزة عن تحقيق اغراضها منفردة وبقوتها الذاتية ، فان استراتيجيتها قائمة على اساس التحالف المستمر مع مركز القوة العالمية الذي كان المانيا الامبراطورية فتحالفت معها ، ثم

انجلترا فتحالفت معها ، ثم الولايات المتحدة الامريكية فتحالفت معها . والتحالف يتضمن تبادل الخدمات والمساعدات . ومنذ سنة ١٩٥٦ كانت مصر عدوا صلبا للاستعمار الامريكي ، لانها لم تقبل عودة النفوذ الامريكي الى الشرق العربي بدلا عن النفوذ البريطاني الذي ساعدت امريكا على هزيمته في سنة ١٩٥٦ لتحل محله . وقد حاولت الولايات المتحدة ان تحل محل بريطانيا بكل الطرق ، من اول المساعدات الاقتصادية الى آخر الحصار الاقتصادي . وعندما تحققت الوحدة بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨ تاكدت الولايات المتحدة الامريكية بان طريقها الى الشرق العربي لا يمكن ان يقوم الا على انقراض الاتجاه القومي الذي يدفع الدول العربية الى غاية تبدو حتمية هي قيام الوحدة الشاملة . حينئذ بدأ التخطيط الامريكي لضرب هذا الاتجاه وتصفيته ، واتخذ التخطيط هدفا له عزل الجمهورية العربية المتحدة عن العالم العربي وعن قضاياه . فكان الانفصال خطوة اولى ، ثم التهديدات المستمرة للاقليم الشمالي ، ثم تحرك القوات من الاقليم الجنوبي تعبيرا عن موقف التأييد لسلامة الاقليم الشمالي ، واذا بها تواجه خططا هجومية جاهزة منذ زمن بعيد لتصفية قواتها العسكرية بمجرد استنراجها الى الحدود . ثم وقعت المعركة التي استهدفت الصهيونية من ورائها ارضا جديدة كجزء من خطتها التوسعية ، واستهدفت الولايات المتحدة الامريكية من ورائها تصفية انفتاح مصر على العالم العربي . وان كنت تشك في هذا فلعلك قد سمعت ان الولايات المتحدة الامريكية عرضت ، ولم تسحب عرضها ، بان تعيد سيناء الى الجمهورية العربية المتحدة في نظير امر واحد هو ان تنفض الجمهورية العربية يدها من القضايا العربية .

اذن فالفوز الصهيوني يستهدف اصلا الوطن العربي ، بدون توقف على وجود او عدم وجود الدول العربية ، او على حدودها ، ونظم الحكم فيها ، او ما اذا كانت تقدمية او رجعية . اما شق الطريق الى هذا الهدف فيصطدم بالدول القائمة على الارض التي يستهدفها الفوز سواء كانت رجعية او تقدمية . اما المعارك فتندور ضد القوى التي تعترض الطريق او قد تقطعه في المستقبل . اما استهداف الجمهورية العربية المتحدة بالذات فلان عزل مصر عن الوطن العربي يمثل هزيمة ساحقة للحركة القومية . وعندما تهزم الحركة القومية يصبح الوطن العربي، بما فيه مصر ، لقمة سائقة للامبرياليين الامريكيين .

سؤال ( ١٣ )

الا تكشف الاجابة عن السؤال السابق حقيقة الخطا الذي تكر في المحاضرة وهو الحديث عن الدول العربية كما لو كانت متساوية في الموقف القومي ، او الموقف التقدمي ، او الموقف من فلسطين، بحجة انها ما دامت كلها اقليمية فكلها فاشلة ، هل يصح بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة مثلا ما يصح بالنسبة لتونس ؟

جواب ( ١٣ )

ارجو ان يكون واضحا اننا عندما نتحدث عن الدول ، او الدولة ، نتحدث عن مؤسسة سياسية ذات مضامين فكرية واقتصادية وسياسية خاصة . وهي ذاتها شخص اعتباري (معنوي) خاص تتميز عن الاشخاص الذين يعملون في اجهزته . هذه الدول ، المؤسسة ، شخص من اشخاص القانون الدولي ملتزمة به في حركتها الخارجية في مواجهة الدول الاخرى . وهذه الدولة ، المؤسسة ، شخص من اشخاص القانون الداخلي ملتزمة به في حركتها الداخلية في مواجهة الشعب الذي تضمه . وهذه الدولة المؤسسة ، محدودة القدرة بامكانياتها الخاصة ، وهي في الوقت ذاته حائل دون ان يستفيد الشعب من اية امكانيات غير امكانياتها الخاصة . انها ساحة النشاط الاجتماعي وهي في الوقت نفسه حدود هذا النشاط .



ونحن عندما نقيم الدول العربية على حقيقتها كدول ، ولكن من وجهة نظر قومية ، أي على ضوء المقارنة بين ما نستطيع ان نقدمه الى الشعب العربي فيها من امكانيات التقدم ، وبين ما يمكن ان يحصل عليه هذا الشعب نفسه من امكانيات في ظل دولة الوحدة الاشتراكية الديمقراطية نقول انها فاشلة لانها اقليمية . وهذا يصح بالنسبة الى جميع الدول العربية .

اما مقارنة الدول العربية فيما بينها فشيء اخر . انها تختلف مساحة وعددا وثروات وامكانيات ونظاما وحكاما وقادة . وفي هذا لا نستوي دولة مع دولة اخرى . ولا يعني الان ان نصوغ جدولا مقارنا لحركة التقدم في الدول العربية . انما الذي يعنيننا تماما ان نسر ذلك الاختلاف بين الدول العربية في موافقها من القضايا القومية . قد يبدو عسيرا على الفهم ان نقول مثلا عن الجمهورية العربية المتحدة انها دولة اقليمية ، في ذات الوقت الذي نقول فيه ان اتجاهها القومي حقيقة تزج الاستعمار الى درجة التحالف مع الصهيونية لتصفية هذا الاتجاه بالقوة المسلحة . ان انتحار مصر على امتهما العربية كان في ذاته نصرا قوميا فكيف تحقق في ظل الاقليمية ؟ ودعم ثورات التحرر في الجزائر وفي اليمن وهي كل مكان من الوطن العربي ، حركة قومية ، ولا نقول مجرد موفق ، فكيف تمت في ظل الاقليمية ؟ واذا كانت الانتصارات القومية قابلة للتحقق في ظل الدول الاقليمية ، ومن خلالها ، فلماذا نتهم الاقليمية بالفشل ؟

اسئلة مكررة ، ومبررة .

ومع هذا لننظر معا الى البدايات . والبديهية الاولى ان القوى القومية التقدمية التي تجسد الحركة القومية تعيش وتمارس نشاطها الفكري والسياسي في ظل تجزئة وطنها العربي الى دول اقليمية متعددة . وبحكم القيود الاقليمية على التحامها وشمول نشاطها الوطن العربي كله ، يتجه هذا النشاط الى تحقيق اكبر قدر من التقدم تسمح به الامكانيات الاقليمية مع محاولة كسر القيود الاقليمية المثلة في ايدولة ودستورها وحدودها وقانونها ومحاكمها وسجونها للتحام بالقوى القومية التقدمية الاخرى التي تفعل نفس الشيء في دول عربية اخرى .

ثم يأتي الموقف من سلطة الحكم في الدول الاقليمية .

عندما تكون الدولة في قبضة قوى اقليمية ، تبدو الاقليمية منسجمة مع ذاتها ودولتها ، وهنا يتكشف دورها الفاشل الرجعي العميل وتكون امام نموذج « نونس تحت حكم بورقيبة » . هناك الدولة الاقليمية التي يحكمها الاقليميون حيث نسحق القوى القومية التقدمية بقسوة وحشية ، وحيث تتآمر الدولة علنا مع الاستعمار ومع الصهيونية أيضا ، وتبرر نامرها بفكر تسعج اقليميته مع رجعيته . ولكن الامر ليس على هذا الوجه في كل الدول العربية ، اذ ان القوى القومية التقدمية ليست قوى سلبية او ضعيفة . بل حدث ويحدث ان يتولى قادة لا شك في ان اتجاههم القومي التقدمي مسؤولية الحكم في دولة اقليمية . هنا يقوم الصراع الذي لم يرد في كتب الفقه الدستوري او فقه كتاب الصراع الاجتماعي . قيادة لا تؤمن بالدولة الاقليمية تصبح هي ذاتها صاحبة الدولة الاقليمية ، قيادة لا تؤمن بشرعية التجزئة ، ومع هذا تحنم الى الشرعية الاقليمية في تعاملها الدولي . قيادة تؤمن بوحدة الامة العربية ومع هذا تجد نفسها مضطرة الى معاملة ابناء هذه الامة معاملة الوافدين الاغراب . قيادة تؤمن بوحدة الامكانيات العربية ، ومع ذلك تجد نفسها مضطرة الى الدخول في سباق المنافسة بين دول التجزئة . قيادة تؤمن بان التقدم لا يقوم على اساس التجزئة ومع ذلك تحاول حل المعادلة الصعبة في الاقليم بينما المعادلة لا تحل الا في ظل الوحدة . والصراع دائم بين الاتجاه القومي وقيود الاقليمية التي تشده الى الوراء : قيود الدستور والقانون والالتزامات الدولية . ووراء هذا صراع اجتماعي لا يتوقف

بين القوى القومية التقدمية التي تقف وراء الاتجاه القومي الذي تمثله القيادة وبين القوى الاقليمية ذات المصالح التي تجسدها الدولة . وقد سحق هذا الصراع المرير بعض الحكام الذين وفوا في شرك الحكم الاقليمي ، فاذا بهم من خلال تراكم وتبرير تصرفاتهم اليومية ، من اول تفتيش الحدود الى عود العدالة الاجتماعية ، يجدون انفسهم وقد اصبحوا اقليميين تحت شعار التقدمية . ومنهم من اراد ان يغطي هزيمته التي يشعر بها شعورا قويا فاتجه الى مزايدات قومية ، او تقدمية ، هو اول من يعلم انها غير قابلة للتحقق . ومنهم من صمد للصراع الذي لم يحسم بعد . هنا تستطيع القيادة القومية ان تدفع بالدولة الى معارك التحرر بجرأة وحسم برغم الاقليمية ، لان المجاهرة بالرغبة في الانسحاب من معارك التحرر يكشف ارتباط الاقليمية بالاستعمار ، فهي توافق علنا وتنقد سرا ونبحت عن مخرج غير منهم من متاعب التحرر العربي . ولكن عندما تطرح قضية الوحدة لا تقبل الاقليمية ان تلتف دولتها فهي تقبل التعاون والتحالف والوقوف في صف واحد . الخ ولكنها لا تقبل الوحدة . ولما تمت الوحدة نتيجة لعلاقة قامت بين القواعد والقيادة متخفية الوحدة ، كانت الاقليمية بالمرصاد فلم تترك فرصة واحدة لاضعاف الوحدة واعادها للانفصال .

ان هذا يعني ان ما يتحقق في اتجاه قومي عن طريق الدول العربية انما يعبر عن مرحلة انتصار للقيادة القومية التقدمية في صراعها ضد دولتها الاقليمية ، ولكن انحسار هذا الاتجاه من حين الى حين يدل على ان الصراع لم يحسم ، وهو لا يخزن ما دامت الدولة الاقليمية قائمة ، لان قابلية الدولة الاقليمية للاستجابة لتطلبات النضال القومي محدود ، ومن هنا فهي اداة فاشلة في النهاية . فكيف يمكن الخروج من هذا المازق اي كيف يمكن ان تحكم القوى القومية التقدمية دولة عربية بدون ان تتحول هي الى قيادة اقليمية ؟ بالتنظيم القومي الثوري ، الذي يشرح لها حكماها وتبقى قيادته بعيدة عن سجن الاقليمية ، قادرة على ان تواصل نضالها القومي الى ان تكسب ارضا جديدة فتقيم دولة الوحدة النواة .

الم نقل ان التنظيم القومي الثوري هو الاداة الوحيدة الصالحة لحل مشكلات القوى القومية ؟

## المقاومة من وجهة نظر قومية :

سؤال ( ١٤ )

١ - كيف يمكن القول اطلاقا بان الدول العربية كانت وما تزال وستظل ، منفردة او متحالفة ، غير قادرة على تحرير فلسطين لان تحرير فلسطين يقع خارج نطاق اهدافها في حين انه يمكن لقوة قومية تقدمية في مكان السلطة ان تستهدف تحرير فلسطين وان تسخر قوى الدولة ذاتها لهذا التحرير .  
ب - ثم اليست اسرائيل دولة قائمة على اصغر الاقاليم العربية فلماذا انتصرت ؟

جواب ( ١٤ )

أ - اما عن مقدرة الدول العربية على تحرير فلسطين فقد قلنا انها عاجزة ما دامت « اقليمية » لان الاقليمية هي مصدر الفشل ، وما دامت الدولة اقليمية فان اية قوة قومية تتولى السلطة لن تجد من يبين اهداف دولتها مسؤولية تحرير ارض تعتبرها الدولة الاقليمية ارضا اجنبية . فالقوة القومية التي تتولى السلطة في اية دولة عربية لن تستطيع ان تدخل في اهداف دولتها تحرير فلسطين الا اذا رفضت التجزئة العربية واعتبرت انها دولة قومية . وهذا يعني ان ترفض وجود دولتها الاقليمية

الواحد . الرابع : الوعي بان مضمون التقديمية يختلف من مجتمع الى مجتمع في الزمان الواحد . الخامس : ان التقديمية على هذا الاساس هي التنسي الايجابي للحلول الصحيحة للمشكلات التي يطرحها مجتمع معين في مرحلة تاريخية معينة .

فان اردت ان تطبق هذا على المرحلة التاريخية التي تمر بها الامة العربية ، فان المشكلات الرئيسية التي تطرحها الظروف العربية الان هي الاحتلال والتجزئة والتخلف والاستغلال . وان حلولها الصحيحة هي الحرية والوحدة والاشتراكية . وعلى هذا يكون مفهوم التقديمية بالنسبة اليها هو التنسي الايجابي للحرية والوحدة والاشتراكية، معا .

#### سؤال ( ١٧ )

اذا كنا لا نعرف كثيرا عن حقيقة المنظمات في الساحة فكيف عرفنا انها بكل منظماتها لم تتبلور بعد - نهائيا - لا فكرا ولا تنظيميا فهي قابلة للتطوير والتطور . اننا نعرف ان اقسام المنظمات في الساحة ذات اتجاهات مبلورة منذ نشأتها ولم تتغير كما ان بعض المنظمات قد انشقت على اساس عقائدي مما يدل على انها متبلورة .

#### جواب ( ١٧ )

اننا نعرف ما تقول ومع هذا فاننا لا نعرف كثيرا عن حقيقة المنظمات في الساحة . ربما لان ضراوة المعركة التي تخوضها المقاومة ضد الصهيونية والامبريالية وعملائها تحول دون اباحة كثير من اسرار المنظمات . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فانا لا نستطيع ان نصول على كل ما يقال عن المقاومة لاننا لا نستبعد تدخل القوى المعادية ، بطريق او باخر ، فيما يعلن . ومن بين ما نعرفه ان بعض الشباب العربي قد تبلورت نهائيا على ما يعرفونه عنها معرفة ممارسة . ونعرف ايضا ان قيادات بعض المنظمات تتصرف كما لو كانت قد وصلت السى صيغتها النهائية . ثم نعرف معرفة اليقين ان هذا غير صحيح وان المقاومة بكل منظماتها لم تتبلور بعد - نهائيا - لا فكرا ولا تنظيميا . ذلك لاننا نعرف بان العبرة في المواقف النهائية لا بما يظنه الناس بانفسهم او بغيرهم ولكن بملامه تلك المواقف للظروف الموضوعية . اي ان طبيعة المعركة ضد الغزو الصهيوني هي التي ستكون العامل الرئيسي في بلورة المقاومة فكرا وتنظيميا . ولما كنا نعرف ان المعركة ضد الغزو الصهيوني معركة قومية تقدمية فانا على يقين من ان كل المنظمات - بدون استثناء - ستكون مضطرة الى تطوير نفسها في اتجاه طبيعة المعركة . ان هذا يمكن ان يتم عن طريق المعرفة العلمية ومن الآن ، ولكن تجاهله لا يعني انه لن يتم ، فخلال المعركة الطويلة ، وتراكم الخبرات ، والمعاناة اليومية للتناقضات ، والخيار الملزم بين النصر او الهزيمة ، سيخرج من الساحة كل الذين لا يلائمون طبيعتها ولا تبقى في الساحة الا المقاومة القومية التقدمية .

#### سؤال ( ١٨ )

لماذا ترى ان الاتجاه المرتبط ببعض الدول العربية سيخرج من المعركة بمجرد انقضاء مرحلة ازالة آثار العدوان اي بخروج الدول العربية المرتبطة بها من المعركة بعد استرداد ما ضاع من اقاليمها في يونيو ١٩٦٧ ، ولا تقدر احتمال بقاء هذه المنظمات في الساحة ، وما الذي يمنح من استمرار دعم الدول العربية للمقاومة حتى بعد ازالة آثار العدوان ؟

#### جواب ( ١٨ )

لانه عندما تخرج الدول العربية من المعركة تكون ملزمة في مواجهة

ذاتها وتحيلها الى دولة وحدة نواة . والدولة تتحول الى دولة وحدة نواة عندما تصبح قاعدة الثورين العرب ومنطلقهم الى تحرير الارض العربية في كل مكان واسقاط الاقليمية في اي مكان ايضا . فان استطاعت القوة القومية التي تتحدث عنها ان تفعل هذا قد سحقت دولتها الاقليمية قبل ان تستطيع ان تخطو خطوة واحدة خارج حدودها .

ب - اما عن اسرائيل فهي ليست دولة على اقليم يمكن مقارنته باية دولة عربية . ان اسرائيل هي القوة الضاربة النابعة لتنظيم صهيوني عالمي . هو الذي خطط لها ، وهو الذي يمولها ويكسب لها الحلفاء والمؤيدين في العالم اجمع ، وتتحرك تحت قيادته لكسب مزيد من الارض تستوعب اليهود جميعا . والارض المحتلة ليست اقليما لدولة اسرائيل بل هي راس الجسر ، او القاعدة ، التي احتلتها الصهيونية لتتحشد عليها قوتها الضاربة من اجل مزيد من التوسع . وهكذا نرى انه عندما نقول ان على المقاومة ان تتحول الى قوة ضاربة لتنظيم قومي جماهيري ثوري، فاننا لا نبتكر اسلوبا جديدا لقتال الصهيونية انما ندعو الى الاسلوب المتكافئ مع آساليب الاعداء . وعندما تنكافا الاساليب يكون النصر حليف الاوفر امكانيات ، واكثر تحملا لمرارة الصراع ، واعدل فابة .

#### سؤال ( ١٥ )

ما معنى ان المقاومة كاسلوب قتال جماهيري هي مدخل تاريخي لبناء التنظيم القومي . هل يعني هذا انه لا يوجد اي مدخل غيرة ؟ .

#### جواب ( ١٥ )

نصني بالمدخل التاريخي انه افضل الامكانيات المتاحة في مرحلة تاريخية محددة .

ولا شك ان دخول الجماهير العربية ساحة القتال المسلح ضد الغزو الصهيوني يقدم افضل الامكانيات المتاحة لبناء تنظيم قومي ثوري في الوقت الحالي . ليس معنى هذا انه لا يوجد اي مدخل غيره ، او ان مصير الامة العربية متوقف على ما يراه نفر من ابناءها ولو كانوا من ابطال المقاومة . ولكن معناه ان ابطال المقاومة من جهة ، والقوى القومية التقدمية من جهة اخرى امام فرصة تاريخية يتحملون جميعا مسؤولية اهدارها . وعندئذ ستبحث الجماهير العربية عن مدخل اخر ، ولو كان اصعب . اما ما هو المدخل الاخر ، الاصعب ، فذلك حوار لا يدور الا بين الذين يعنون ما يقولون ، اي الذين لا يحشون عن المدخل من قبيل الفضول ، ولكن لانهم لا يقبلون الحياة نفسها الا في داخل تنظيمهم القومي اولئك يعرفون ما يجب عليهم ان يفعلوه ليجسدوا ولاءهم لجماهير امتهم بالرغم من كل العقبات والصعوبات .

#### دعوة الى القوى العربية التقدمية :

#### سؤال ( ١٦ )

ما هو مفهوم التقديمية ؟

#### جواب ( ١٦ )

اين ، ومتى ؟

ان التقديمية موقف ايجابي قائم على اسس خمسة :  
الاول : الوعي بان كل شيء في الوجود متحرك متغير ابدًا .  
الثاني : الوعي بان كل شيء متغير متحرك يتقدم من الماضي السى المستقبل وينمو من خلال الاضافة نموًا جدليًا . الثالث : الوعي بان مضمون التقديمية يختلف من زمان الى زمان في المجتمع

## جواب ( ٢٠ )

لان المفروض ، بعد الهزائم التي لحقت بنا ، ان نحاول النظر الى ابعاد من انوفنا . ان الجماهير العربية كلها - وكما هو ثابت - تؤيد وتدعم المقاومة لان المقاومة مباحة لان تأييد الجماهير العربية لها مباح . مباح مؤقتا لان الدول العربية في حاجة الى المقاومة . وسيظل مباحا طالما هي في حاجة اليها . ونحن ننظر الى ما بعد هذا . عندما تصبح المقاومة غير مشروعة ، ويعود حمل السلاح جريمة معاقبا عليها ، ويعود النضال الجماهيري نشاطا « هداما » ، عندئذ سيتوقف مصير المقاومة على ما اذا كانت قد ارتبطت تنظيميا بالجماهير العربية ام لا ، لتستطيع قيادتها في الوقت المناسب ، ان تحركها ضد محاولات تصفية المقاومة ذاتها او تحريم التأييد والدعم الجماهيري لها . ان ما هو ثابت اليوم لن يظل ثابتا غدا الا ان نقيم من اليوم دعامة تهيئته في كل الظروف الى ان تنتصر المقاومة . وليس سوى التنظيم القومي الثوري دعامة موثوقة تستند اليها قوته الضاربة في ساحة المقاومة .

## سؤال ( ٢١ )

اذا كانت الدول العربية قد حالت وتحول دون قيام تنظيم قومي ثوري افلا تؤدي محاولة اقامته الى فتح معارك جانبية داخل تلك الدول وضدها يناقض ما تدعو له من ضرورة التحالف ضد العدو المشترك حتى مع الدول العربية التي تواجه اسرائيل وتمعد للقتال ؟

## جواب ( ٢١ )

ان الاساس العقائدي للجواب هو ان الولاء اولا واخيرا للجماهير العربية . وعندما نقنع بان قيام التنظيم القومي ضرورة لازمة لانتصار امتنا ، فيجب اقامة التنظيم القومي سواء رضيت الدول العربية ام لم ترض . ان الثوريين حقا لا يستأذنون احدا عندما يريدون الوفاء بمسؤولياتهم الثورية . والقوميون لا يستأذنون الاقليمية . ومع هذا فان الوعي القومي على ضرورة تجنب اية معارك مع حلفاء المعركة يحتم على القوى القومية الا تتحرك الا في الحدود التي تسمح بها ظروف التحالف من اجل المعركة . ان هذا يؤثر في صيغة الحركة وليس في ضرورة التحرك . وظروف التحالف من اجل المعركة لا تسمح الان باقامة تنظيم قومي يتعرض لانقضاض الاقليمية ويضطر للدفاع عن نفسه في معارك جانبية . ولكنها ملائمة تماما للاعداد الفكري والبشري من خلال المعركة ذاتها . لهذا كانت دعوتنا السى تكوين كتاب « الانصار » . وكتاب « الانصار » كما نفهمها وتدعو لها ليست التنظيم القومي ولكنها حركة قومية تعني الجماهير من اجل الانتصار في المعركة وتدعم التحالف العربي ، وتحول دون الاستسلام او المساومة ، وتسحق القوى العميلة والانهازمية ، وتحرض على القتال ، ثم تقاوم فعلا في ساحة المقاومة في صفوف قواتها الضاربة بقدر ما تستطيع وبقدر ما تحتاج قواتها الضاربة الى دعم بشري . وامام « الانصار » ساحة بعيدة فعليا عن يد الاقليميين . وامامهم حاجة الدول العربية ذاتها الى دعم الجماهير المنظمة . كل هذه ظروف تمثل افضل الامكانيات لاعداد الكوادر الثورية ، التي صقلت المعركة ذاتها ، ولكنها ظروف موقوتة بمرحلة ازالة آثار العدوان . وهذا يعني ان على « الانصار » ان يلتحقوا في تنظيم قومي قبل ان تنقضي هذه المرحلة ليستطيعوا ان يؤمنوا للمقاومة امكانيات الاستمرار في القتال .

بقي ان نقول ان اية دولة عربية تحول دون اسهام الجماهير اسهاما منظما في المعركة ضد الغزو الصهيوني ، تكون هي بذاتها قد خرجت على قاعدة التحالف من اجل المعركة . وتكون الجماهير العربية مطالبة بان تتعامل معها بالاسلوب الذي يناسب موقفها .

## سؤال ( ٢٢ )

اذا تصر هنا وفي كتاب « ما العمل » على تسمية ما تدعو له باسم « كتاب الانصار » ؟

الاجتمع الدولي بان تكلف القوى التابعة لها من الاستمرار في القتال . فاذا لم تفعل فهي في حرب تتجاوز حدودها ايا كانت صورة القسوى التابعة لها ، نظامية او منظمة . ولما كانت الدول العربية تخوض المعركة الآن - كما تعلن - في سبيل ازالة آثار العدوان وفي حدوده ، فانها كمولة « ستكف القوى التابعة لها عن القتال فور ازالة آثار العدوان . وتجد المنظمات التابعة لها حينئذ ان عليها ان تطيع التعليمات الصادرة من القيادة الحقيقية . ومع هذا لنفترض ان المنظمات التابعة لم تطع وتمردت على قيادتها . انها حينئذ ستجد نفسها بدون قواعد ولا اموال ولا مزيد من الاسلحة وستحاول ان تحصل على ما تريد من الجماهير وليس من الدولة ، فتكتشف انها لم تكن يوما مرتبطة بجماهير منظمة قادرة على تعويضها ايجابيا عن رابطتها بالدولة التي خذلنها ، اي ستفتقد التنظيم القوي القادر على ان يمددها بعناصر المقدرة على الاستمرار ، من كل الاقطار بدون توقف على موقف الدولة في اي قطر على حدة . ومع هذا لنذهب الى اكثر من هذا ونفترض ان بعض الدول العربية ستخرج من المعركة « علنا » ولكن تظل تدعم المقاومة سرا . ان هذا لن يغير من الوضع الدولي شيئا فلا اسرار بعيدة عن معرفة اجهزة الدول المعنية بمراقبة جدية خروج الدول العربية من المعركة بعد ازالة آثار العدوان ثم ان الدعم السري قابل للانقطاع عندما ينكشف . فلا تبقى اذن وسيلة لتأمين استمرار دعم المقاومة بدون تدخل من الدولة او بدون ان تكون مسؤولة دوليا عن هذا الدعم الا ان تتولاه جماهير منظمة غير مرتبطة باية دولة . ذلك هو التنظيم القومي الثوري الذي لا تسال الدول العربية عن نشاطه لانه ينشط بعيدا عن اية تبعية لها ، بل ينشط بالرغم منها اذا اقتضى دعم المقاومة ذلك .

## سؤال ( ١٩ )

هل هناك تناقض بين مسؤولية شعب فلسطين عن تحرير فلسطين، وبين مسؤولية القوى القومية التقدمية عن تحرير فلسطين ؟

## جواب ( ١٩ )

لا تناقض ابدا الى ان تتحرر فلسطين . ولا خلاف ايضا اذا كان المقصود هو ان شعب فلسطين مسؤول عن تحرير فلسطين كجزء من مسؤولية القوى القومية التقدمية عن تحرير فلسطين . ولكن الخلاف يقوم اذا كان المقصود ان شعب فلسطين وحده - دون القوى القومية التقدمية - مسؤول عن تحرير فلسطين لانه وحده صاحب الحق في فلسطين ، فهي وطنه . ان في هذا عزلا للجماهير العربية عن معركة تحرير فلسطين ، او تمهيدا لعزلها . وهو ما لا تقبله الجماهير العربية . اما كيف يمكن التفرقة بين الشعار بمفهومه الاول والشعار بمفهومه الثاني . فمن خلال ما تمثله المنظمات ذاتها ، فالمنظمة القومية ستكون مفتوحة للجماهير العربية ، بما فيهم العرب من فلسطين بل قد تكون غالبية قواها من عرب فلسطين . لا شيء يمنع من هذا . وهكذا يتحقق الشعار بمفهومه الثاني وبدون خلاف . اما اذا كان الشعار مجسدا في منظمات مقصورة على العرب من فلسطين قيادة . وكوادر وقواعد ، فكرا واستراتيجية وحركة ، فان سمتها الاقليمية تحول دون امكان اي تاويل قومي للشعار . وقد قلنا منذ البداية الا تناقض السى ان تتحرر فلسطين ونضيف هنا ان هذا التناقض لا يقوم حتى مسع وجود الخلاف . لان التناقض مولد للصراع ، والخلاف تمييز لا يقتضي الصراع . ومن وجهة نظر قومية نرى ان التحالف ، وليس الصراع ، بين الاقليمية الفلسطينية وبين القوى القومية واجب قومي الى ان يتحقق النصر على العدو المشترك وتتحرر فلسطين لنرى بعد هذا ان تكون الارض التي تحررت .

## سؤال ( ٢٠ )

ان الجماهير العربية كلها - وكما هو ثابت - تؤيد وتدعم المقاومة بدون وجود للتنظيم القومي فلماذا التركيز على ضرورة هذا التنظيم القومي كشرط لانتصار المقاومة ؟

مدته مرحلي ومتوقف على انتهاء المعركة ضد ذلك العدو المشترك . وفي مرحلة التحالف تؤجل القوى التحالف صراعاتها الاصيلية . تؤجلها ولكن لا تنهيها لانها صراعات مرتبطة بالتناقضات التي جمعت منها قوى متعددة بدلا من ان تكون قوة واحدة . ويقابل التحالفون عدوهم المشترك بدون ان يفغل احد منهم عن الصراع الذي سيدور فيما بينهم بعد النصر في معركتهم المشتركة . فيحاول كل منهم ان يحضر للمرحلة التالية ، اما بكسب قوى ومواقع جديدة تحت غطاء المعركة المشتركة ، او بتصفية الحلفاء عن طريق امتصاص قواعدهم وتصفية مواقعهم . وهكذا لا يتوقف الصراع الخفي بين حلفاء الجبهة ، وان كان لا يصل في العنف او الوحدة الى درجة اضعاف قوتهم المشتركة ضد العدو المشترك . او المفروض ان يكون كذلك احتراماً لقوانين التحالف الجبهوي .

هذه هي الجبهة ، وهي واقعية ، وعلمية ، وضرورية في هذه الحدود ، اي بدون ان يقال انها طريق الى الوحدة او انها بديل عن الوحدة ، وحدة التنظيم القومي . ونحن عندما ندعو الى قيام تنظيم قومي ثوري ذي قوة ضاربة في ساحة المقاومة ، لا ندعو الى الفناء وجود القوى الاخرى ، بل ندعو القوى القومية التقدمية الى ان تتجسد في وجود منظم تفتقه الساحة ، بدلا من بقائها مبثرة بين منظمات محدودة وبين قواعد المنظمات الاخرى . اننا ندعو الى دخول المعركة ولا ندعو الى اخراج احد منها ، وعندما نوجد معا امام عدو مشترك فان الجبهة ستكون صيغة نضالنا المشترك . الى ان تتحرر فلسطين ، فنخرج كل القوى من ساحة النضال العربي ويبقى التنظيم القومي قائدا لنضال الجماهير ضد الامبريالية والاقليمية والرجعية السى ان يقيم دولة الوحدة الاشتراكية والديموقراطية . وهكذا ترى ان التنظيم القومي لا ينفي الجبهة ، ولكنه ان يتوقف عن النضال القومي عند الحدود التي يتوقف عندها حلفاء المرحلة ، بل تتجاوز استراتيجيته تحرير فلسطين الى الفناء التجزئة واقامة دولة الوحدة . ومن هنا فانه هو وحده ، وليس الجبهة ، الضمان الوحيد لاستمرار الثورة العربية حتى غاياتها العظيمة .

عصمت سيف الدولة

القاهرة

ليس ثمة اصرار لا هنا ولا هناك . انما ان لا بد من اسم ما يكون ذا دلالة بقدر الامكان . وقد اخترنا اسم « كتائب الانصار » اول مرة في رسالة الى الشباب العربي في اواخر يونيو ١٩٦٧ اي فسور الهزيمة وكان الاسم اشتقاقا من دعوة الى الشباب العربي بان ينصروا امتهم في محنتها . ثم وجدناه ملائما لما عرف عن قتال الوحدات الجماهيرية بينما الحرب النظامية قائمة ، فقد خاضت الجماهير السوفييتية « حرب الانصار » بينما كان الجيش يتقهق امام الهجوم النازي ، وعادت فصاحت مسيرته الى النصر . ثم وجدناه اكثر ملاءمة للتعبير عن نصره المقاومة . وهي ايضا كتائب انصار المعركة . او كما تشاء لاني لا اصر الا على الدعوة لتنظيم الجماهير واشراكها في المعركة . هذا هو الجوهري فيما ادعوه ، اما الاسم فشكل لا يستحق الاصرار عليه .

سؤال ( ٢٣ )

ليست افضل صيغة واقعية ، وعلمية ايضا ، لمواجهة الفسزو الصهيوني هو وحدة كل منظمات المقاومة في جبهة مقاتلة ووحدة كل القوى التقدمية في جبهة عربية تدعم المقاومة وتساندها ؟ اني اعتقد ان هذا هو البديل للتنظيم القومي .

جواب ( ٢٣ )

نعم ان افضل صيغة واعية ، وعلمية ايضا ، لمواجهة الفسزو الصهيوني هو وحدة كل منظمات المقاومة في جبهة مقاتلة ووحدة كل القوى التقدمية في جبهة عربية تدعم المقاومة وتساندها . ولكن ليس هذا هو البديل عن التنظيم القومي . كما ان التنظيم القومي ليس بديلا عن الجبهة . اذ عندما يقوم التنظيم القومي لن يناضل في عزلة عن القوى التي تواجه عدوه المشترك ، بل سيناضل في جبهة مع كل حلفاء اغراضه المرحلة .

وما دمت تحتمك الى العلم فاني اصنع تحت نظرك القوانين العلمية للتحالف الجبهوي . ان النضال في جبهة هو الصيغة العلمية لتعاون قوى « مختلفة اصلا » ضد عدو مشترك . ان هذا التحالف مهما طالت

صدر حديثا

# العمل الفدائي

انه ارشاد تطبيقي يسر لمزاولة حرب المقاومة الشعبية والعمل الفدائي على ارض يحتلها العدو ، ويرفض أهلها الاستسلام . فيه نظرة تاريخية وتقييم ممتع للعمل الفدائي: أصوله، وطرائقه، والاساليب الاجدى في الدعوة اليه وممارسته والظفر بعد ادائه . وهذا ما نحن في الوقت الحاضر في أمس الحاجة اليه . فالمؤلف رجل خبر حرب المقاومة الثورية والانتفاض على مختلف أعداء الشعب في أميركا اللاتينية والحرب الاهلية الاسبانية ، وهو يضع جميع خبراته في متناول اليد لكل من يود الانتفاع بتجاربه السابقين . كما ان الترجمة سهلة متبسطة لا يعثرها التباس .

انه كتاب كل مواطن ، الفدائي للمناقشة والتطبيق ، والمواطن العادي للتأهب كي يكون فدائيا يوما ما . لهذا نجده يشرح افضل السبل لنصب الكمائن ولغم العسبربات المجنزرة ونسف مستودعات الذخيرة والتخلص من افراد دوريات العدو . وفيه كيف يعيش الفدائي ورجل المقاومة ، وماذا يلبس في كل فصل ، وكيف يسلك مع الغير .

انه ثروة جاهزة للاخذ والتطبيق .

الثمن ٢٠٠ ق.ل.

الناشر : دار الآداب بالاشتراك مع دار العلم للملايين